

دراسات أخلاقية (2)  
بحوث أخلاقية وثقافية



دار المعارف الإسلامية الثقافية

الكتاب: دراسات أخلاقية (2) بحوث أخلاقية وثقافية

تأليف: الشيخ مصطفى قصير قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

مراجعة وتنسيق: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية

إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة: الأولى - 2019م / 1440هـ

تصميم وطباعة: DB UH  
009613 336218

ISBN 978-614-467-???-?

books@almaaref.org.lb

00961 01 467 547

00961 76 960 347



مَوْسُوْعَةُ الْعِلْمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ



# دَرَسَاتُ اخْلَاقِيَّةٍ (2) بَحْثُ اخْلَاقِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ

الجزء السابع عشر



دار الحديث الإسلامية الثقافية



## الفهرس

### 9..... الفصل الأول: الإنسان و غاية الوجود

- 11..... تهيد
- 12..... معنى العبادة وحدودها
- 14..... إخلص العبادة
- 15..... علاقة العبادة بالمسير التكاملي للإنسان
- 18..... حقيقة العبودية
- 19..... مراتب العبادة
- 20..... لذة العبادة

### 23..... الفصل الثاني: أسس المنهج التربوي والأخلاقي في الإسلام

- 25..... تهيد
- 26..... خطوات المنهج التربوي الإسلامي

### 31..... الفصل الثالث: البعد التربوي في شخصية الفرد المؤمن

- 33..... حزب الله وحزب الشيطان
- 38..... خصائص المنهج التربوي الإسلامي

### 41..... الفصل الرابع: شهر رمضان المبارك أنفاسكم فيه تسبيح

- 43..... تهيد
- 44..... مفهوم التسبيح
- 45..... إمّا الأعمال بالنيّات
- 46..... الخطاب لمن؟
- 47..... المخلوقات كلّها تسبّح الله

48.....التسبيح نصف الميزان

51.....**الفصل الخامس: شهر ضيافة الله**

53.....تمهيد

56.....شهر الجهادين الأكبر والأصغر

63.....**الفصل السادس: بين عنواني السعادة والشقاء ومفهومي الفقر والغنى**

65.....تمهيد

65.....تحرير المفهوم

67.....الغاية والوسيلة

68.....السعادة الحقيقية

70.....بين الغنى والسعادة الدنيوية

72.....الموقف السليم

75.....**الفصل السابع: الصداقة والوفاء**

77.....تمهيد

**الفصل الثامن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دراسة في الشكل والمضمون**

85.....تمهيد

87.....الرقابة الذاتية والرقابة الاجتماعية

89.....السلوك العملي ودوره في الأمر بالمعروف

91.....ساحة الأمر بالمعروف

94.....الإرشاد والتبليغ

95.....شرائط هذه الفريضة

96.....دائرة الأمر والنهي بين الحاكم والأمة

98.....الأجهزة الرئيسية المؤثرة في هذه الفريضة

104.....اليد واللسان والقلب

106.....الحريّة والنهي عن المنكر

108.....



## الفصل التاسع: التبليغ الإسلامي العناصر والعقبات 115

تمهيد 117

التبليغ في رؤية أُمَّة أهل البيت عليهم السلام 121

التبليغ وظيفه الأنبياء عليهم السلام 123

العناصر الضرورية 123

الموانع والعقبات 128

مقترحات للعلاج 134

قائمة المصادر والمراجع 137

## قائمة المصادر والمراجع 137



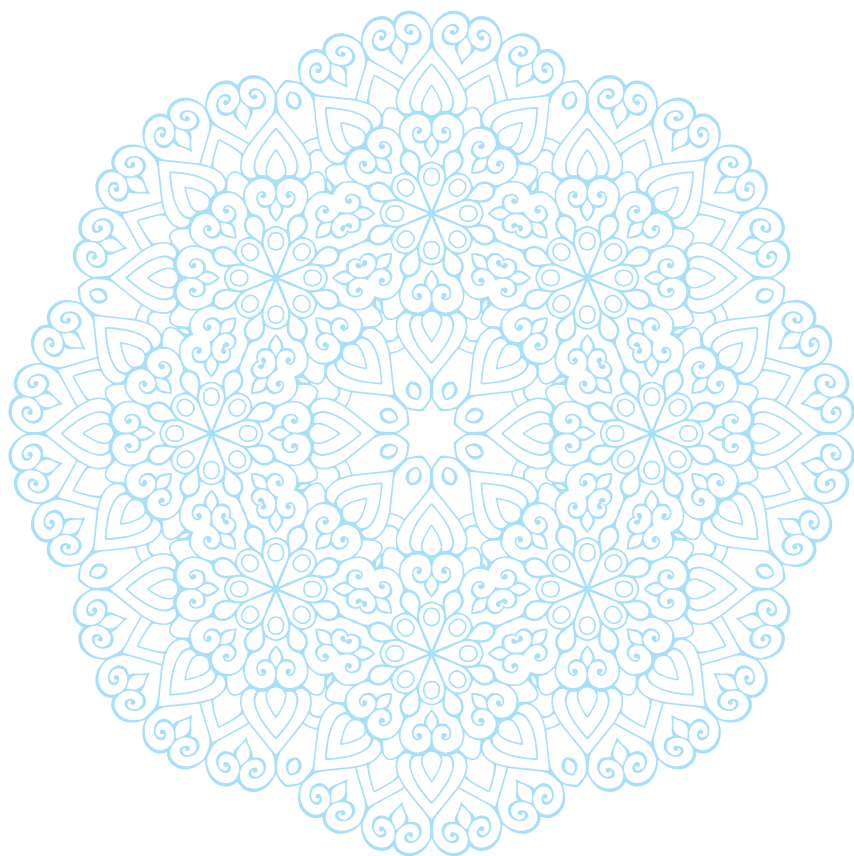


## الفصل الأول



## الإنسان وغاية الوجود





## تمهيد(1)

قال الله -تعالى- في محكم كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (2).

وفي الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف» (3). وأحد لوازم المعرفة الارتباط والطاعة. العبادة هي الغرض من خلقه الإنسان، وليست غرضاً لخالق الإنسان؛ إذ الآية الشريفة مضافاً إلى غيرها من آيات الكتاب الكريم توضّح هذا الموضوع.

ونحن هنا سنتناول الموضوع من جهتين:

**الجهة الأولى:** معنى العبادة وحدودها والممارسات التي تحقّقها.

**الجهة الثانية:** علاقة العبادة بالمسير التكاملي للإنسان.

---

(1) محاضرة أُلقيت في البرنامج الثقافي لرؤساء البلديات بتنظيم من مجلس العمل البلدي.

(2) سورة الذاريات، الآيات 56 - 58.

(3) المجلسي (الأول)، المولى محمد نقي، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، نَقَّه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: السيّد حسين الموسوي الكرمانّي؛ الشيخ عليّ پناه الإشتيّهاردّي، بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور، لا. ت، ط، ج2، ص710.

## معنى العبادة وحدودها

المراد من العبادة الانقياد المطلق لإرادة الله - سبحانه وتعالى - في أوامره ونواهيه. وهي بهذا المعنى لا تقتصر على بعض الممارسات اليومية أو الموسمية، وإنما هي مفهوم شامل يتناول ممارسات الإنسان كلها في مختلف مجالات حياته، بدءاً من التفكير، وانتهاءً بطلب الحلال ومعاملة الناس.

وبعبارة مختصرة: عبادة الله تعني الارتباط الكامل والتام بالله، والانقياد له في كل صغيرة وكبيرة من مفردات السلوك والعمل، ليجعل العبد حياته كلها تنتظم في مسار واحد، يجسد الطاعة التامة والمطلقة.

وأول العبادة معرفة الله «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ»<sup>(1)</sup>، وإذا عرف الإنسان الله تمسك به وأعرض عن كل شيء سواه؛ لأنه سوف يجد أن كل ما سواه ليس له وجود إلا به، ولا قدرة إلا القدرة المستمدة منه، ولا يملك إلا ما ملكه إياه، فكل ما عداه وهم وسراب ما لم يكن مرتبطاً به - عز وجل -: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

وبهذا المعنى للعبادة يتضح لماذا جعلها الباري - عز وجل - غاية وغرضاً للخلق، ويتضح السر في عِدِّ التفكير من العبادة، بل من

(1) الشريف الرضي، السيد محمد الرضي بن الحسن، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، تحقيق وتصحيح: صبيح الصالح، لا. ن، لبنان - بيروت، 1387 هـ - 1967 م، ط1، الخطبة 1، ص39.

(2) سورة العنكبوت، الآية 41.



أفضل مصاديقها، فقد ورد في الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: «لا عبادة كالتفكير»<sup>(1)</sup>؛ لأنّ التفكير يقود إلى المعرفة، وإلى توطيد العلاقة وتوثيق الارتباط؛ ممّا يحقق المزيد من الانقياد الإراديّ والواعي. وسيأتي أنّ هذا هو الذي يحقق للإنسان وجوده وكماله. والذي يدلّنا على أنّ العبادة مفهوم شامل يتناول كلّ طاعة لله -تعالى-، ما نجده متكرّراً في النصوص الحديثيّة عن أهل بيت العصمة والطهارة من إطلاق هذا العنوان على عدد كبير من الطاعات. ومن أمثلة ذلك:

1. «ما من عبادة أفضل عند الله من عفة فرج وبطن»<sup>(2)</sup>.
2. «أفضل العبادة العلم بالله والتواضع له»<sup>(3)</sup>.
3. «أفضل العبادة إيمان التفكير في الله وفي قدرته»<sup>(4)</sup>.
4. «والله، ما عبّد الله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن»<sup>(5)</sup>.
5. «غضّ الطرف عن محارم الله -سبحانه- أفضل العبادة»<sup>(6)</sup>.
6. «إنّ من العبادة شدّة الخوف من الله -عزّ وجلّ-»<sup>(7)</sup>.

(1) الزمخشريّ، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شركة مكتبة ومطبعة الحلبي، مصر، 1385هـ - 1966م، لا. ط، ج1، ص488.

(2) الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب، الكافي، تحقيق وتصحيح: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1363ش، ط5، ج2، ص80.

(3) ابن شعبة الحرّانيّ، الحسن بن عليّ، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفيّة، إيران - قم، 1404هـ - 1363هـ ش، ط2، ص364.

(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص55.

(5) المصدر نفسه، ص170.

(6) الأمدي، عبد الواحد بن محمّد، غرر الحكم ودرر الكلم، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، إيران - قم، 1366هـ ش، لا. ط، ج1، ص174.

(7) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص69.

7. «العبادة حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يُطاع الله منها»<sup>(1)</sup>.

8. «الاستغفار و قول لا إله إلا الله خير العبادة»<sup>(2)</sup>.

9. «العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال»<sup>(3)</sup>.

10. «ومن العبادة إظهار اللسان وإفشاء السلام»<sup>(4)</sup>.

هذا غيض من فيضٍ من النصوص التي تدلّ بمجملها على أنّ كلّ طاعة لله وكلّ امتناع وارتداع عن معصية الله فهو عبادة.

## إخلاص العبادة

ورد في الحديث: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(5)</sup>.

والرؤية هنا إشارة إلى اليقين الحسيّ الذي لا يعتريه شك؛ ولذا كان اليقين شرط العبادة «لا عبادة إلا بيقين»<sup>(6)</sup>.

وفي رواية أنّ الإمام عليّاً عليه السلام سمع رجلاً من الخوارج يتهجّد ويقول: «نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ»<sup>(7)</sup>.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 83.

(2) المصدر نفسه، ص 505.

(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 78.

(4) المصدر نفسه، ج 8، ص 22.

(5) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة «المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام»، مؤسسة الأعلوي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1400هـ - 1980م، ط 1، ص 8.

(6) المغربي، القاضي النعمان بن محمد، دعائم الإسلام، تحقيق: أصف بن عليّ أصغر فيضي، دار المعارف، مصر - القاهرة، 1383هـ ق - 1963م، لا. ط، ج 1، ص 105.

(7) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، الحكمة 97، ص 485.

وقوة اليقين هي التي تعطي للعمل قيمةً وأثراً كبيراً، وإخلاص العبادة لله - تعالى - هو الذي جعل من ضربة الإمام عليّ عليه السلام يوم الخندق تُعادل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة، وقد ورد أن «العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه»<sup>(1)</sup>.

### علاقة العبادة بالمسير التكاملي للإنسان

لقد خلق الله الإنسان، واستخلفه في الأرض، ومنحه العقل، وأعطاه الاختيار، ووفّر له وسائل الهداية؛ ليبليغ بها درجات المقرّبين، والمنازل العليا التي أعدّها الله - سبحانه وتعالى - لمن عرفه فأمن به، وأطاعه وعبده حقّ عبادته.

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يُترك الإنسان ليختار طريقه بإرادته، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(2)</sup>، «نَجْدُ الْخَيْرِ وَنَجْدُ الشَّرِّ»<sup>(3)</sup>. وفي نَجْدُ الْخَيْرِ كمال الإنسان، وفي نَجْدُ الشَّرِّ هلاكه وسقوطه.

لكن كيف تُحقّق العبادة والطاعة للإنسان كمالاً؟ فإنّ الإنسان عندما يخرج إلى الدنيا يفد عليها في ضعف ووهن وحاجة وفقر، ولا يقتصر الأمر على الحاجة والضعف المادّيين، بل هو في وهن وحاجة في المجالات الروحية والنفسيّة، لكنّه يملك استعدادات وقابليّات لتلقّي الكمالات الروحية والنفسيّة والجسديّة.

(1) اللبنيّ الواسطيّ، عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجنديّ، دار الحديث، إيران - قم، 1418 هـ، ط1، ص65.

(2) سورة البلد، الآية 10.

(3) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، الاعتقادات في دين الإماميّة، تحقيق: عصام عبد السيّد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414 هـ - 1993 م، ط2، ص37.

وقد هيأَ البارِي -عزَّ وجلَّ- السبلَ والمستلزماتَ كُلَّها التي تُعين الإنسانَ على تحقيقِ الغايةِ وبلوغِ أفضلِ المستوياتِ على صعيدِ الكمالاتِ الروحيَّةِ، ونَهَّه على أنَّ هذه الدنيا ليست سوى دارِ اختبارٍ وامتحانٍ، وعملٍ واجتهادٍ، وأنَّ الآخرةَ هي الحياةُ الحقيقيَّةُ، وهي دارُ الحصادِ والبقاءِ والخلودِ، وأنَّه في هذه الدنيا يصنعُ حياته الأُخرويَّةُ، وينبئُ ملكاته الروحيَّةُ التي تكوِّنُ معالمَ شخصيَّتهِ في تلكِ الدارِ.

وأعطاه الاختيارَ وجعلَ بيده زمامَ مصيره؛ لأنَّه لا يمكنُ الوصولَ إلى تلكِ الدرجاتِ العليا إلَّا بالعملِ الاختياريِّ، والإِراديِّ، وهنا ينبغي التفريقَ بين الكمالاتِ الجسديَّةِ والكمالاتِ الروحيَّةِ، فإنَّ الأولى يمكنُ أن تحصلَ بالجبرِ والإكراهِ، إلَّا أنَّ الثانيةَ لا تتحقَّقُ إلَّا بالاختيارِ، فلو أُكرِه الإنسانُ على ممارسةِ نوعٍ من النظامِ الغذائيِّ وطريقةٍ من الرياضةِ الجسديَّةِ فسوف تأتي نتائجها في الغالبِ، كما لو مارسَ ذلك بلا إكراهٍ دون مزيدِ فرقٍ، لكنَّ الكمالاتِ الروحيَّةَ على عكسِ ذلك لا تتحقَّقُ بالإكراهِ، فلو أُكرِه الطفلُ مثلاً على فعلِ الخيراتِ لن يُوَثِّرَ ذلكُ إيجاباً في تنميةِ رُوحِيَّةِ حبِّ الخيرِ لديه، بل ربَّما حصلَ العكسُ، وكذلك الكمالاتِ الفكريَّةُ التي لا تقعُ في الأساسِ تحت دائرةِ سلطةِ الغيرِ، لا بدَّ لها من أن تنموَ بالإرادةِ والاختيارِ، مع توفُّرِ المساعدةِ من قِبَلِ الغيرِ ببذلِ المقدماتِ واللوازمِ والأجواءِ المناسبةِ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(1)</sup>.



وهذا لا ينافي ما تفرضه الشريعة الغراء من أحكام اجتماعية تمنع تجاوزها وتعاقب عليها؛ كالقتل، وارتكاب الكبائر، وانتهاك حقوق الآخرين وأمثال ذلك، فإنّ هذا الأمر يدخل في دائرة النظام العامّ، وتوفير الأجواء المعينة على الالتزام، واختيار طريق الصلاح عند ضعف النفوس.

وبالحقيقة، فإنّ (الاختيار) هو الذي منح الفرصة للإنسان للارتقاء إلى منازل الملائكة، بل الوصول إلى مراتب لا يبلغها الملائكة المقربون الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(1)</sup>؛ وذلك لأنّ الملائكة الكرام خلّقوا ليؤدّوا هذا الدور، ولم تُجعل فيهم الغرائز والشهوات التي تشكّل عوائق أمام الطهر والصفاء؛ أمّا الإنسان فقد اختُبر بفتح الطريق أمامه في اتّجاهين متعاكسين، وأُعطِيَ القدرة على المعصية وارتكاب الآثام التي تؤدّي به إلى مستنقع الهلاك؛ ليكون لاختياره الطريق الآخر القيمة الأكبر، وليكون لتجاوزه العقبات والعوائق وانتصاره عليها الفضل الأعظم؛ ولذا كان الإنسان الكامل هو الأفضل، وهو الذي أسجد الله ملائكته له، وليس مطلق الإنسان الذي يحتمل أن يكون مستغرقاً في الرذيلة والإثم حتّى النهاية، فهذا يقول عنه الله -تعالى- في القرآن الكريم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(2)</sup>.

وقد ورد في الحديث: «من قام بشرائط العبوديّة أهل للمعق»<sup>(3)</sup>؛ يعني العتق من النار؛ لأنّه تحرّر من أسر الشهوات وحبّ

(1) سورة التحريم، الآية 6.

(2) سورة الفرقان، الآية 44.

(3) اللبنيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 450.

الدنيا وملذّاتها، فيُعتق من الآثار المترتبة عليها، وتصفو له الحياة الأخرى بما فيها من درجات ومنازل لا تُنال إلا بالعمل والجهد والكدح.

## حقيقة العبوديّة

سأل شخص الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام: ما حقيقة العبوديّة؟ فقال عليه السلام: «ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما حوّله الله ملكاً؛ لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله، يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يُدبر العبد لنفسه تديراً. وجملته اشتغاله فيما أمره الله -تعالى- به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما حوّله الله -تعالى- ملكاً، هانّ عليه الإنفاق فيما أمره الله -تعالى- أن ينفق فيه، وإذا فوّض العبد تديير نفسه على مدبره، هانّ عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله -تعالى- ونهاه، لا يتفرّغ منها إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هانّ عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلوّاً، ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أوّل درجة التقى، قال الله -تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>.

(1) سورة القصص، الآية 83.

(2) الطبرسي، الشيخ علي بن الحسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، 1418هـ، ط1، ص563.

هذا النصّ المبارك يكشف عن فلسفة العبوديّة لله، ويعطينا مفتاح السرّ للدخول إلى هذا العالم الذي فيه يجد الإنسان كلّ ما يريد من أجل الوصول إلى كماله، فليس هناك من طريق إلى الكمال إلّا الله -تعالى-، وليس من غنى إلّا غناه ولا قوّة إلّا به.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرّفة يقول: «ماذا وَجَدَ من فَقَدَكَ وما الذي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ، لقد خَابَ من رَضِيَ دونكَ بدلاً، ولقد خَسِرَ من بَغَى عنكَ متحوّلاً...»<sup>(1)</sup>.

## مراتب العبادة

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً، فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ»<sup>(2)</sup>.

هذه المراتب المذكورة في النصّ تعود -كما هو واضح- إلى الغرض والدافع إلى العبادة، وهو يتناسب مع الحديث المشهور: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»<sup>(3)</sup>.

وهذا التصنيف لمراتب العبادة لا ينحصر في العبادات المعروفة؛ أي الصلاة والصوم والحجّ وأمثالها، وإنّما هو شامل لكلّ عبادة؛ أي لكلّ طاعة، وهي شاملة للجهاد، وخدمة الناس، والأمر

(1) ابن طاووس، السيّد عليّ بن موسى، إقبال الأعمال، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1367 هـ.ش، طبعة قديمة، ج1، ص349.

(2) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، الحكمة 237، ص510.

(3) عليّ بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مسائل عليّ بن جعفر، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، إيران - مشهد المقدّسة، ذي القعدة 1409 هـ.ق، ط1، ص346.

بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسائل السياسة والإدارة، وكلّ ما فيه طاعة لله -تعالى-.

## لَذَّةُ الْعِبَادَةِ

قد تواجهنا بعد ما تقدّم مشكلة، وهي أنّ المفروض بالإنسان إذا أدرك معنى العبادة أن يُقبل عليها إقبال شوق ومحبة، ورغبة وانسجام، بينما الواقع أنّنا نجد في كثير من الأحيان نوعاً من الانصراف القلبيّ على الرغم من حصول الإدراك العقليّ لأهميّة العبادة، فما السبب في ذلك يا ترى؟

في الحقيقة، إنّ الإدراك العقليّ والنظريّ وإنّ كان أَرْضِيّة ضروريّة للانطلاق في العمل، إلّا أنّ الرضى والمحبة والشوق والرغبة كلّها من حالات القلب، فيجب ترتيب العلاقة القلبية مع العمل بعد تحقّق الإدراك العقليّ والنظريّ لحسنه والاحتياج إليه، وهذه العلاقة القلبية لها أسبابها وعواملها المغايرة للإدراك العقليّ، كما أنّ لهذه العلاقة مفسدات.

«كيف يجد لَذَّةُ العبادة من لا يصوم عن الهوى؟»<sup>(1)</sup>، فهوى النفس من الأمراض التي يُبتلى بها الإنسان فتحرمه من التحسّس بلذّة العبادة، كما تمنع بعض الأمراض الشعور بلذّة الطعام.

(1) اللبنيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 384.

ورد في مواظب نبي الله السيّد المسيح ﷺ: «بحقّ أقول لكم: إنّه كما ينظر المريض إلى طيب الطعام، فلا يلتذّه مع ما يجده من شدّة الوجع، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذّ بالعبادة، ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حبّ المال»<sup>(1)</sup>.

فالعلاقة القلبية لا تتوثّق مع وجود ما يشوبها ويفسدها؛ ممّا يعني ضرورة العمل على تنظيف القلب من الهوى، وحبّ الدنيا، ومن المعاصي التي تحوّل دون توطيد العلاقة؛ وذلك أنّه لا يجتمع حبّ الله وحبّ الدنيا في قلب المؤمن.

وقد ورد في الحديث: «العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل، وقيل: على الماء»<sup>(2)</sup>.

(1) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، مصدر سابق، ص 507.

(2) ابن فهد الحلبي، أحمد بن محمد، عدّة الداعي ونجاح الساعي، تصحيح: أحمد الموحّدي القحّي، مكتبة وجداني، إيران - قم، لا. ت، لا. ط، ص 141.



## الفصل الثاني



# أُسُس المنهج التربوي والأخلاقي في الإسلام







## تمهيد

لا شك في أنّه مهما كانت جذور المنهج التربوي قائمة على أسس علميّة أو نفسيّة، فإنّه يفتقد القدرة على المقاومة في الحالات المتأزّمة وأمام الميول والدوافع الغرائزيّة، ولا يمكنه دفع الإنسان نحو القيام بمسؤولياته في جميع الأحوال ومنعه من ممارسة الأعمال اللاأخلاقيّة واللاإنسانيّة، إلّا إذا كان هذا المنهج يتكئ على الإيمان والتقوى والالتزام بالأوامر الشرعيّة. ومن هنا، فإنّ الأنظمة الوضعيّة مهما بلغت من الدقّة والمتانة فهي تفتقر إلى العنصر الأساس الفاعل والمؤثّر.

أمّا الدين الإسلاميّ الحنيف، فقد نظّم برنامجه التربويّ والأخلاقيّ على أساس فطرة الإنسان الإيمانيّة، فاستفاد تماماً من قوّة الضمير الأخلاقيّ والإلهام التكوينيّ الإلهيّ الفطريّ.

وبإجراء مطالعة متأنّية للتوجّهات العلميّة والسلوكيّة التي تتبنّاها الشريعة الإسلاميّة تحت عنوان الأحكام أو الإرشادات الأخلاقيّة، يمكننا أن نتلمّس خطوات ثلاثة اعتمدها الإسلام في منهجه التربويّ.

## خطوات المنهج التربوي الإسلامي

**الخطوة الأولى:** تنمية الحسّ الدينيّ والارتباط بالله -تعالى-. ويتجلى ذلك بالخطوات العمليّة التي ألزم المؤمن باتباعها، وذلك عن طريق تشريع نظام العبادات اليوميّة أو الأسبوعيّة أو الموسميّة، التي من شأنها أن تعمّق حالة الارتباط بالله وتعاليمه الدينيّة، وبعبارة أخرى تقوّي الحالة الإيمانيّة وتُعمّقها؛ ذلك أن الإيمان بالله هو حجر الأساس الذي يقوم عليه صرح النظام الإسلاميّ في شتّى جوانبه ومجالاته.

**الخطوة الثانية:** السعي لتقوية الضمير الأخلاقيّ ومَلَكَات الفضيلة بأساليب متعدّدة. وهنا أيضاً نجد أنّ ثمة نظاماً دقيقاً قد رسمته الشريعة الإسلاميّة بغية الوصول إلى مستوى عالٍ من الالتزام بالقيم الأخلاقيّة، بل التعلّق بهذه القيم بحيث تصبح جزءاً من شخصيّة الإنسان.

**الخطوة الثالثة:** تعديل الرغبات والميول الطبيعيّة، وإخضاعها لنظام دقيق يعمل على إشباعها في الحدود التي تحقّق الغايات المطلوبة منها، وتحوّل دون الوقوع في الانحراف، فتحدّ من سيطرتها، وتقف دون تجاوزها لحدودها التي تقتضيها حكمة الخلق؛ لذلك حثّ الإسلام على الزواج المبكّر مع تفتّح براعم القدرات الجنسيّة، ونهى عن الرهبانيّة والعزوف عن الحياة الزوجيّة، ووضع منهجاً للذين لا يجدون نكاحاً ولا يتوفّر لهم ما يُشبعون به رغباتهم بالأسلوب الطبيعيّ، يعتمد على الرياضات والعبادات التي تقوّي الإرادة؛ كالصوم مثلاً.

هذه الخطوات الثلاثة يعتمدها الإسلام في وقت مبكر، ومنذ اللحظة الأولى التي يرى الوليد فيها النور، وربما كان يوجد اهتمام تمهيدِيّ في فترة ما قبل الولادة، تنطلق من ظروف انعقاد النطفة، وترافقه في مراحل تخلّقه جنيناً في بطن أمّه.

فلعلّ ما يمتاز به المنهج الإسلاميّ هو اعتماد الوقاية والعلاج معاً، فدور التربية الوقائيّة أهمّ من التربية العلاجيّة؛ إذ لو تتبّعنا السنن التي وضعها الإسلام في تربية الطفل، فسنجد أنّه يغلب عليها طابع التربية الوقائيّة.

تعتمد خطّة وقاية الأطفال من الأمراض الأخلاقيّة على توجيه غرائزهم منذ البداية توجيهاً سليماً، ووضعها في المسار الصحيح، ويوجد عدد كبير من الغرائز لو تُركت لتنمو بالطريقة غير السليمة لأوصلت الإنسان إلى كارثة.

فغريزة حبّ الذات التي تلعب دوراً في تكوين شخصيّة الطفل، وغريزة حبّ التملّك والاستحواذ والدافع العدوانيّ تجاه الآخرين، وغير ذلك، كلّها تحتاج إلى تعديل وتوجيه إلى المسار الصحيح، لكي لا تتجاوز حدودها الطبيعيّة.

والدور التربويّ اللازم هنا ينبغي أن يحقّق هذه الغاية، دون إفراط ولا تفريط؛ فإنّ تجاوز الحدّ في قتل غريزة حبّ الذات مثلاً يوقع الطفل في عقدة الشعور بالحقارة وضعف الشخصيّة والجبن، وتركها دون تعديل ودون أيّ قيد ينميّ عنده حالة من الأنانيّة والعجب وفساد الأخلاق، وكذلك الأمر في باقي الغرائز.

وتبرز التربية الوقائية في المنهج الإسلامي بشكل واضح في مسألة التربية الجنسيّة للأطفال، فنحن اليوم نسمع أصواتاً تدعو إلى فتح ملف التربية الجنسيّة في المناهج الدراسيّة المبكّرة، ولعلّ هؤلاء انطلقوا في ندائهم من واقع فاسد ساد المجتمع والمدرسة، فهم يريدون معالجته تعليمياً، وانطلاقاً من ملاحظة الجانب الصحيّ فحسب، دون أن يحسبوا عواقب المفاصد الاجتماعيّة والروحيّة المترتبة على ذلك؛ أمّا الإسلام فيتّبع منهجاً خاصّاً يعتمد أسلوب الوقاية، وينظر إلى المسألة من جذورها، ومن جميع جوانبها وآثارها.

فیبداً من البيت وفي وقت مبكر عندما يبدأ الطفل بإدراك تصرّفات الأهل، فيمنع الأبوين من ممارسة الوضع الجنسيّ بمراى أو مسمع الطفل؛ لئلا يوقظ في داخله هذه الغريزة التي تعيش حالة السبات، ويفرض عادة التفريق بين الأطفال في المضاجع إذا بلغوا من العمر عشر سنين، ويأمرهم بالاستئذان قبل الدخول على الأهل في ساعات الراحة والخلوة، وأمثال هذه السنن التي تحافظ على سكون الغريزة الجنسيّة في هذه المرحلة، وتحول دون إيقاظها.

ثمّ في مرحلة اليقظة الطبيعيّة يحثّ على الزواج المبكّر. نعم، ربّما كانت العادات والتقاليد التي نعيشها تعقّد الأمور، وتجعل التنفيذ عسيراً، لكن هذا ليس ناشئاً من نقص في التشريع.

أمّا على صعيد تنمية الحسّ الدينيّ والارتباط بالله، فقد ورد الحثّ على تعويد الطفل على العبادات في وقت مبكّر، فقد ورد في الحديث: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً»<sup>(1)</sup>.

(1) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، لبنان - بيروت، لا. ت، لا. ط، ج 2، ص 180.

ولعلّ استحباب الأذان في أذن الوليد اليمنى، والإقامة في الأذن اليسرى له أثره في زرع الحسّ الدينيّ، حيث يكون أوّل ما يسمع هو فصول الأذان والإقامة، فتحصل حالة من الأُنس بها بعد ذلك، وهذا عمل تربويّ عظيم.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده الإمام الحسن عليه السلام: «وإنّما قلبُ الحَدَثِ كالأرضِ الخاليّةِ، ما أُلقيَ فيها مِنْ شيءٍ قبلته، فبادرْتُكَ بالأدبِ، قبلَ أن يفسدَ قلبُكَ، ويشتغلَ لُبُّكَ»<sup>(1)</sup>.

ويؤكد أيضاً على الجانب العلميّ، ويأمر بالتحصين والوقاية من شبهات المنحرفين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»<sup>(2)</sup>، وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «علّموا صبيانكم ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيهما»<sup>(3)</sup>.

أمّا على صعيد تقوية الضمير الأخلاقيّ، فللإسلام اهتمام خاصّ بالسلوك، وله منهجه الواضح في هذا المجال، وقد ورد عن أئمّة أهل بيت النبوة والعصمة ما لا يُحصى من التوجيهات والتعاليم التي تحدّد معالم المنهج السلوكيّ والأخلاقيّ.

(1) الشريف الرضيّ، نهج البلاغة، مصدر سابق، الرسالة 31، ص 393.

(2) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسويّ الخراسانيّ، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1364 هـ.ش، ط 3، ج 8، ص 111.

(3) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، الخصال، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة، إيران - قم، 1403 هـ.ق - 1362 هـ.ش، لا.ط، ص 614.



وقد عمل الإسلام هنا على خطّين: خطّ الإصلاح الذاتي والرقابة الذاتية، وخطّ الإصلاح الاجتماعي والرقابة من خارج الذات، وقد أطلق على الأوّل اسم (جهاد النفس والجهاد الأكبر)، وقد ورد في الحديث: «غالبوا أنفسكم على ترك العادات تغلبوها، وجاهدوا أهواءكم تملكوها»<sup>(1)</sup>؛ وأطلق على الثاني (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، الذي هو عنوان يعبر عن التكافل الاجتماعي في المسألة التربويّة والأخلاقيّة.

وبين هذين الخطّين حالة عجيبة من الانسجام والتكافل والترابط، فلا يغني أحدهما عن الآخر، ولا يقوم مقامه.

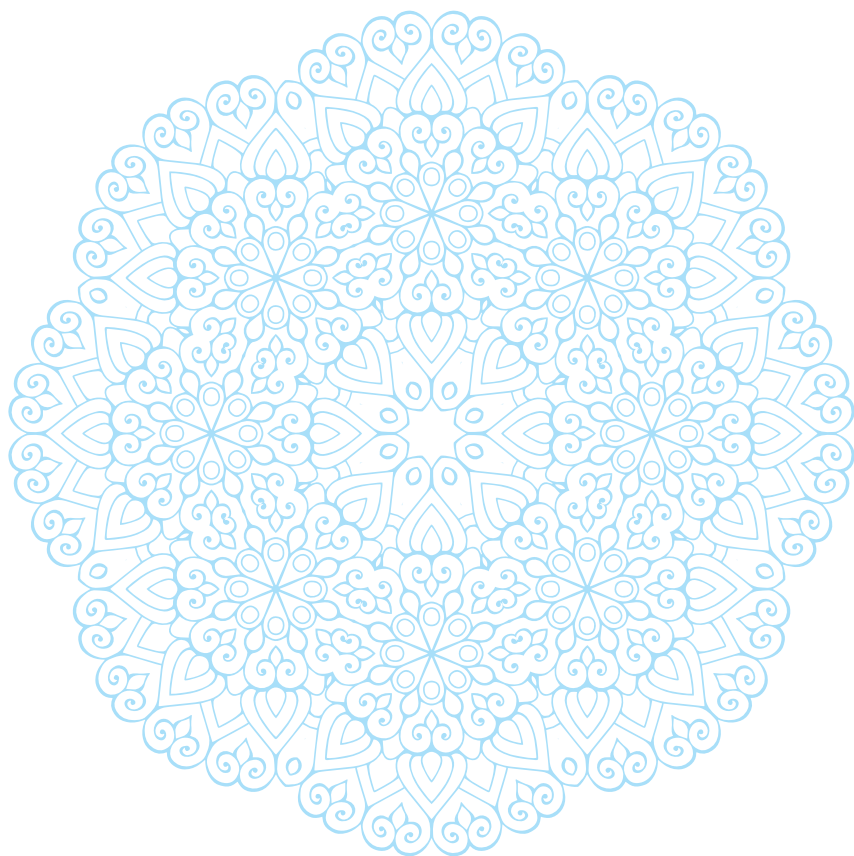
(1) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص348.

## الفصل الثالث



### البُعد التربويّ في شخصيّة الفرد المؤمن







## حزب الله وحزب الشيطان

يقابل القرآن الكريم بين فريقين من الناس في بعض آيات سورة المجادلة:

الفريق الأول يصفهم بمجموعة من الصفات، ومنها:

1. ﴿تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.
2. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>.
3. ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

أما الفريق الثاني فيصفهم بمجموعة أخرى من الصفات، ومنها:

قال -تعالى-: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) سورة المجادلة، الآية 14.

(2) السورة نفسها، الآية 16.

(3) السورة نفسها، الآية 19.

(4) السورة نفسها، الآية 22.

والمقابلة بين حزب الشيطان وحزب الله هي مقابلة بين اتجاهين متعاكسين ومتعارضين، ولا بدّ من تحديد الخيار بين هذين الاتجاهين؛ إمّا أن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا، ويتمسّك بمنهجهم ومسايرهم، فيكون من حزب الله الغالبين المفلحين، وإمّا أن يدخل في ولاية الشيطان، فينقاد له، ويتولّاه، ويسير في خطّ الضلالة الذي يدعو أتباعه إلى سلوكه، ويربط بمصيره، فيكون من حزب الشيطان الخاسرين.

فهل يوجد عاقل لا يحبّ أن يكون من الفريق الأول، ويحبّ أن يكون من الفريق الثاني؟!

ولا شكّ في أنّ الدخول في ولاية الله يقتضي اللجوء إلى الأبواب والمداخل المؤدّية إليها، ويقتضي سلوك السبيل الوحيد الموصل إليها، وهو المعبر عنه بالصراط المستقيم. كما أنّ ذلك يستلزم التغلّب على العقبات التي يضعها الشيطان الرجيم في الطريق، والتخلّص من الكمائن التي ينصّبها، وهو القائل: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

وقد حذّر الله عباده المؤمنين من كيد الشيطان، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝ يَعْدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(2)</sup>.

السؤال المطروح هو أنّه كيف يمكن للإنسان أن يضمن

(1) سورة الأعراف، الآيتان 16-17.

(2) سورة النساء، الآيتان 119-120.

الوصول إلى ولاية الله -عزّ وجلّ- ليكون من حزبه ومن الفائزين؟! وكيف يضمن التغلّب على العقبات والموانع والإغراءات التي ينصبها الشيطان الرجيم في طريقه، للحيلولة دون الوصول إلى ذلك الهدف، ولجّره نحو الانحراف واتّخاذ الاتجاه المعاكس، والدخول في حزب الشيطان وفي الخاسرين؟!

وبعبارة أخرى، ما المنهج التربوي الذي يجب أن يعتمد عليه الإنسان لتحسين نفسه من هجمات الشيطان، وإحراز السلامة، وبلوغ الغاية التي خلقه الله من أجلها؟

يقوم المنهج التربوي الإسلامي على رؤية فكرية وعقائدية تحدّد فلسفة وجود الإنسان وغاية الخلق والمصير الذي يسعى إليه، وهو ما يعبر عنه بالمبدأ والمعاد، وعلى ضوء ذلك يتحدّد المسار العملي بما يتفرّع عنه من حقوق، وواجبات، وقيم أخلاقية، ووسائل، واعتبارات، تتكامل معاً لتوصل الإنسان إلى الغاية.

فالإنسان خلق ليبقى، ولم يخلق للفناء والاندثار؛ وعليه فالحياة الدنيوية المحفوفة بالفناء والموت ليست إلّا حلقة من حلقات الحياة، ومحطة مؤقتة ينتقل منها الإنسان إلى حياة دائمة وأبدية خالصة لا موت فيها، يعمل هنا ويسعى سعياً دؤوباً؛ ليجعل حياته الأخروية حياة كريمة مفعمة بالسعادة والطمأنينة، إذا أحسن الاختيار وأصاب الطريق، يقول -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الانشقاق، الآية 6.

فالحياة الدنيا مرحلة للاختبار والامتحان "الدنيا مزرعة الآخرة"<sup>(1)</sup>، والحياة الأخرى هي حياة الجزاء والحصاد، وهي الحياة الحقيقية.

هذه الرؤية تنعكس بشكل مباشر على المنهج التربوي المتبني من قبل الفريق المؤمن بها، وعلى ضوئها تتحدّد الأهداف والقيم الأخلاقية التي تحكم المسار العملي وطريقة التعامل مع الوسائل والإمكانيات المتاحة.

### أولاً: الأهداف والغايات:

من الواضح أنّ الأهداف والغايات التربوية يجب أن تكون منسجمة مع الرؤية السابقة، سواء أكانت أهدافاً معرفية أم وجدانية أم عاطفية أم سلوكية أم غير ذلك، ويجب أن تكون مشتقة من تلك الغاية الكبرى التي تحكم مسار الحياة بشكل كامل، ولا يجوز أن يتمّ اختيار أهداف متنافية مع ذلك المسار.

كما أنّ ترتيب الأهداف من حيث الأهمية وتحديد الأولويات يخضعان -أيضاً- لمستلزمات تلك الرؤية؛ فإذا تزاхمت الأهداف نتيجة ضيق الوقت المتاح أو محدودية القدرات والإمكانيات، فالأولوية تبقى بالطبع للأهداف الأكثر انسجاماً مع الرؤية الفكرية والعقائدية، والأكثر مدخلية في تحقيق خطوات متقدمة على ذلك المسار، فيتمّ عندئذٍ التضحية بالأهداف ذات البعد الدنيوي المحض لحساب الأهداف ذات البعد الأخروي، وتُقدّم الأهداف

(1) البيهقي، علي بن زيد البيهقي، معارج نهج البلاغة، تحقيق: محمد تقي دانش پژوه، قم المقدسة، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، 1409هـ، ط1، ص155.



الأقرب إلى بناء الروح وزكاة النفس، والتي تحقّق نتائج أهمّ وأفضل وأسمى، لها علاقة مباشرة بالحياة الأخرويّة الباقية والدائمة.

وهذا هو الذي يفسّر الاستعداد الكبير للتضحية والإيثار عند الصادقين في الإيمان، وهو الذي يفسّر إعراض الزاهدين عن الدنيا وزخارفها وملذّاتها، وهو الذي يفسّر لنا كيفيّة وصول بعض الناس إلى مرتبة متقدّمة في الصبر والتحمّل والثبات.

### ثانياً: القيم والأخلاق:

تتميّز قيم الإيمان والارتباط بالمولى -عزّ وجلّ- بأنّها مستقاة من الرؤية المذكورة آنفاً، فلا يُنظر إليها من منظار دنيويّ ضيق، والمناطق فيها ليس الحصول على مدح الناس والتخلّص من ذمّهم، ولا مجرد حفظ النظام البشريّ وتحقيق الرقيّ والتقدّم والتطوّر الحضاريّ فحسب، فثمّة ما هو أبعد من ذلك؛ إذ، قيم الإنسان تسعى لتحقيق السعادة الحقيقيّة والدائمة للإنسان، عن طريق تربية ملكات النفس وصقل الروح بما يمنحها سموّاً ورفعة وطهارة تتجاوز حدود الاعتبار الدنيويّة.

القيم والأخلاق -بناءً على هذه القاعدة- لا تتغيّر بتغيّر المصالح، ولا تبدّل بتبدّل الأحوال والظروف والاعتبارات؛ لأنّها تتعلّق بكمالات النفس الإنسانيّة والروحيّة.

### ثالثاً: الوسائل والإمكانات:

بناءً على الرؤية المتقدّمة، فإنّه لا تُكتسب القوّة من أجل السيطرة والتحكّم، والمال لا يطلب لنفسه، فالإمكانات والقدرات

والمهارات كلّها وسائل محكومة للقيم وفي خدمة الأهداف السامية، فتكون العزّة في طاعة الله -عزّ وجلّ-، ويكون الذلّ في ارتكاب معصيته، والقوّة الحقيقيّة هي المستمدّة منه -تعالى-؛ بالتوكّل عليه والاستعانة به.

## خصائص المنهج التربويّ الإسلاميّ<sup>(1)</sup>

### 1 - التربيّة الذاتية والخارجيّة:

من خصائصه أنّه يعمل على خطّين:

**الخطّ الأوّل: التربية الذاتية والإصلاح من داخل الذات:**

وهو ما يصطلح عليه في الخطابات الشرعيّة بجهد النفس وتزكيتها؛ لأنّه منهج يقوم به الفرد تجاه ذاته، فيراقب نفسه، ويقوّم الواقع، ويحدّد -بتجرّد وإنصاف- عيوب الذات؛ أي مواطن الخلل، وفّق معيار محدّدات الأخلاق الإسلاميّة التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويضع خطّة العلاج والإصلاح، وينقذ الخطّة بنفسه، معتمداً أسلوب المحاسبة اليوميّة، للاستفادة من نتائجها في التغذية الراجعة، لتعديل الخطّة أو تطويرها، فيصل إلى الهدف المحدّد، بتدريب نفسه على اجتناب المعاصي والموبقات، والابتعاد عن ملكات الرذيلة وترك العادات السيئة، وينمي ملكات الفضيلة، والسجايا الحميدة التي تساهم في سموّ الذات وطهارة النفس.

(1) ذكر سماحة الشيخ هذا المطلب في الفصل السابق، وأعاد ذكره هنا.

ويبقى يراقب ويحاسب باستمرار؛ لحفظ المسار التصاعدي لدرجات التخلق.

### الخط الثاني: هو خط الإصلاح من خارج الذات:

لا يتحقق الإصلاح الاجتماعي إلا بصلاح أفراد المجتمع، وكما يتحمل المؤمن المسؤولية تجاه إصلاح نفسه، يتحمل المسؤولية تجاه إصلاح غيره؛ في أسرته ومحيطه وبقية أبناء مجتمعه الصغير أو الكبير. هذا النوع من الإصلاح أُطلق عليه في الخطاب الشرعي اسم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وله أحكامه وشروطه، وهو عبارة عن تكافل اجتماعي في الجانب الثقافي والسلوكي والعبادي، كما هي الحال في التكافل الاجتماعي في المجال المعاشي والصحي.

## 2 - التنمية - التقوية - التعديل:

ومن خصائصه أيضاً، أنه يعمل على محاور ثلاثة:

**المحور الأول:** تنمية الحس الديني والارتباط بالله - تعالى -. ويتجلى ذلك بالخطوات العملية التي يلتزم باتباعها، وذلك عن طريق الالتزام بمنظومة العبادات اليومية والأسبوعية والموسمية، التي من شأنها تعميق حالة الارتباط بالله واتباع شريعته وتعاليم دينه، وبعبارة أخرى تقوية الحالة الإيمانية وتعميقها؛ باعتبارها الحجر الأساس الذي يقوم عليه صرح النظام الإسلامي والمجتمع الإيماني المعافي والسليم.

**المحور الثاني:** تقوية الضمير الأخلاقي وملكات الفضيلة بأساليب متعددة. وقد رسم الإسلام نظاماً دقيقاً بغية الوصول إلى مستوى عالٍ من الالتزام بالقيم الأخلاقية، وعشقها، وجعلها جزءاً من شخصية الإنسان المؤمن، ومن السجيا الراسخة المتأصلة فيه.

**المحور الثالث:** تعديل الرغبات والغرائز والميول، وإخضاعها لنظام دقيق يعمل على إشباعها في الحدود التي تحقّق الغايات التي وُجدت من أجلها، وتحول دون الوقوع في الانحراف والإفراط في الاستجابة لها، فتحدّ من سيطرتها، وتقف دون تجاوزها لحدودها التي تقتضيها حكمة الخلق.

### 3 - منهج الوقاية والعلاج:

كما أنّ من خصائصه أنّه يعتمد منهج الوقاية والعلاج معاً، فالتربية الوقائيّة لها الدور الأهمّ من التربيّة العلاجيّة، وقديماً قيل: «درهم وقاية خير من قنطار علاج»، فالإسلام يضع مجموعة توجيهات وأحكام لها علاقة بالوقاية والحيولة دون الاقتراب من المشكلة، خاصّة في مواطن الخطر، فيبرز ذلك واضحاً في طريقة الوقاية من الانجرار إلى شرب المسكّرات؛ لما لها من تأثير سلبيّ خطير على المجتمع وأبنائه وقواهم العقليّة وتوازنهم العاطفيّ، وكذلك نجد المنهج الوقائيّ في طريقة التعامل مع الانحرافات الجنسيّة، فيضع سلسلة ضوابط سلوكيّة وقائيّة تمنع الإنسان من الاقتراب من مواطن السقوط والانحراف.

وأخيراً، ينبغي الإشارة إلى أنّه إذا أراد الإنسان أن يكون في حزب الله، فينبغي أن يسلك هذا الطريق من إصلاح الذات، وأن يتحمّل المسؤولية تجاه إصلاح المجتمع البشريّ وفق ما جاء به الوحي، ونطق الرسول ﷺ، وبلغه الأوصياء عليهم السلام.



الفصل الرابع



شهر رمضان المبارك





## تمهيد<sup>(1)</sup>

في الخطبة المشهورة لرسول الله ﷺ التي خطبها في آخر جمعة من شعبان، والتي أورد فيها الكثير من الآداب المرتبطة بشهر رمضان المبارك، والتي يكتمل بها الصوم ويحقق أهدافه، ويبلغ بها الإنسان أقصى ما يصبو إليه، وهو يدخل إلى رحاب الضيافة الإلهية: من الرحمة والمغفرة والرضوان والكرامة.

في تلك الخطبة العظيمة، ورد أن رسول الله ﷺ قال مخاطباً المؤمنين الذين يتهيأون لاستقبال شهر الله: «... أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة...»<sup>(2)</sup>. ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فكيف تكون الأنفاس تسبيحاً؟! وكيف يصير النوم في هذا الشهر المبارك عبادة؟!

(1) محاضرة أُلقيت في بتاريخ 28 شعبان 1428 هـ.

(2) الصدوق، الشيخ محمد بن علي، فضائل الأشهر الثلاثة، تحقيق وإخراج: ميرزا غلام رضا عرفانيان، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1412 هـ - 1992 م، ط2، ص77.

## مفهوم التسبيح

التسبيح هو قول: «سبحان الله»، وهو تنزيه الله -عزّ وجلّ- عن كلّ ما لا يليق به وما لا ينبغي أن يوصف به من أوصاف المخلوقين وما يقتضي النقص.

﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

﴿سُبْحَنَ اللَّهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

والتسبيح في بُعديه الفكريّ والعقائديّ إقرار بالتوحيد في أكمل صورته؛ لأنّ تنزيه الباري -عزّ وجلّ- عن صفات النقص كلّها، وعن كلّ عيب، يعني الاعتقاد بكماله المطلق، والكمال المطلق لا ينفصل عن التوحيد.

والتسبيح في بُعديه العباديّ إقرار من العبد على نفسه بالحاجة والضعف، وإقرار بالعبوديّة، فالناقص يتعلّق بالكامل، والمحتاج يدقّ باب الغنيّ، والضعيف يستعين بالقويّ؛ ممّا يكرّس العبوديّة والارتباط والتبعية في أبهى صورها.

وقد ورد لفظ التسبيح في القرآن الكريم بصيغته المختلفة نحو 90 مرّة.

والعبادات كلّها تمثّل طريقة من طرق التعبير عن التسبيح والتنزيه والتقدّيس لله -تعالى-.

(1) سورة المؤمنون، الآية 91؛ سورة الصافات، الآية 159.

(2) سورة القصص، الآية 68.

## إنّما الأعمال بالنيّات

تظهر خصوصيّة شهر رمضان المبارك في أنّ الله -تعالى- دعا فيه عباده المؤمنين إلى ضيافته، ومن المعروف أنّ الضيافة مكانيّة وزمانيّة، فالوافدون إلى بيت الله الحرام في مكّة هم ضيوف الرحمن في بيته الذي جعله مقصداً للمؤمنين، ومحجّة لهم، ومحلاً لنزول رحمته، على الرغم من أنّ الدنيا كلّها لله، وأيّنا حلّ الإنسان فهو في ملك الله -تعالى-، وبين يديه، وفي دائرة سلطانه، إلّا أنّ الضيافة هنا اعتباريّة: لخصوصيّة البيت الحرام والكعبة المشرفة التي جعلها الله قياماً للناس.

وقد نسب الله -تعالى- شهر رمضان المبارك إلى نفسه، ودعا فيه المؤمنين إلى ضيافته: ليكرّمهم وينزلهم على مائدة رحمته ومغفرته، فخصّ هذا الشهر بخصائص تميّزه عمّا سواه من الشهور والأيّام.

والداخل إلى شهر الله، عندما يتهيأ للوفادة، ويستعدّ للقاء الله -تعالى-، يعمد إلى تطهير نفسه من كلّ ما يعيق دخوله أو يحرمه من الفوز بالرحمة والمغفرة والرضوان، وكلّ ما من شأنه أن يحول دون لقاء ربّه، بل يتحلّى بما يجعله مقبولاً عنده، محبوباً لديه، فيبدأ بالتوبة، وبتطهير قلبه من الذنوب، ومن التعلّق بالدنيا، ومن الارتباط بغير الله، ويجعل وجهته الوحيدة إلى الله -تعالى-، فيخلص في عمله، وفي صفاء نيّته، وصدق سريره، فهو مقبل على من ينظر إلى القلوب، ولا ينظر إلى الوجوه، ومن يطّلع على السرائر، ولا يخفي عليه خافية؛ فإذا فعل ذلك صار كيانه مرتبطاً بالله، متعلّقا به، متوجّهاً إليه، منشغلاً به عمّن سواه، وعندما يصبح الإنسان

كذلك، وينبض قلبه بالشوق إلى لقاء الله، لا شكّ في أنّ نبضات قلبه تصبح تعبيراً عن حبّ الله، وأنفاسه تسبيحاً لله، ونومه عبادة لله؛ لأنّه يعيش في كيانه كلّ الطاعة والمحبة لله، والإقرار بالعبودية له.

صحيح أنّ العبادة فعل إراديّ اختياريّ، والتنقّس حركة للجهاز التنفّسيّ، يقع ضمن الأفعال التي يقوم بها الإنسان بشكل عفويّ، إلّا أنّ من يحوّل حياته إلى حركة هادفة، يريد من خلالها الوصول إلى طاعة الله وعبادته، فإنّه يُدخل بذلك مقدّمات الحياة ومستلزماتها كلّها في الهدف نفسه؛ ليضفي عليها الصفة العباديّة نفسها.

فعندما يستعين الإنسان على طاعة ربّه بالطعام والشراب، واكتساب القوّة البدنيّة اللازمة، تصبح لهذه المقدّمات والوسائل المُعيّنة صفة الطاعة أيضاً، وعندما يستعين المجاهد على أداء واجبه الجهاديّ بالتدريب واكتساب المهارات والخبرات اللازمة، تصبح تلك المقدّمات عباديّة جهاديّة أيضاً.

## الخطاب لمن؟

وبناءً على ما تقدّم، يتعيّن أن يكون الرسول ﷺ يخاطب في هذا الكلام أولئك الذين يُقبلون على شهر الله، مستعدّين للوفادة، متهيّئين ومحقّقين لشروط المقبوليّة؛ أمّا الذي يعيش شهر رمضان دون أن يشعر بأيّ تغيير في واقع نفسه، ودون أن يجد أيّ توجّه نحو لقاء الله، ولا ما يردعه عن مواصلة المعصية التي



اعتادها (كالكذب، والغيبة، والتهاون بالحقوق والواجبات والعهود والمواثيق... وأمثال ذلك)، فلا يمكننا عدُّه من المستفيدين من بركات هذه الضيافة، بل لا ندري إن كان دخل في الضيافة أم لا؟!

## المخلوقات كلها تسبح الله

قال -تعالى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾<sup>(1)</sup>.

ربّما كان تسبيح الكائنات وتنزيهها لله -تعالى- بشهادة الحال، وبدلالة تكوينها على عظمة الخالق ودقّة صنعه وقدرته وحكمته، وعلى وحدانيّته التي تظهر من خلال ترابط الكائنات وانتظام حركة الكون بكلّ مكوّناته؛ الأمر الذي يكشف عن وحدة المدبّر والخالق، والمكوّن والممسك بناصيتها.

فهو تسبيح واقعيّ، وتنزيه حقيقيّ، أبلغ من الكلام، وأصدق من القول.

وقد ورد في هذا السياق جملة من الروايات التي تدلّ على تسبيح الكائنات والبهائم: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أن توسم البهائم في وجوهها، وأن يُضْرَبَ وجوهها، فإنّها تسبح بحمد ربّها»<sup>(2)</sup>.

(1) سورة الإسراء، الآية 44.

(2) راجع: العياشيّ، محمّد بن مسعود، تفسير العياشيّ، تحقيق: الحاج السيّد هاشم الرسوليّ المحلّاتيّ، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، إيران - طهران، 1422هـ، ط1، ج2، ص249.

كما ورد أنّ الشجرة اليابسة تسبّح، والحصى يسبّح، والطير تسبّح، والرعد يسبّح<sup>(1)</sup>، وقد ورد في تفسير قوله -تعالى-: ﴿يَجْبَلُ أَوَّيَّ مَعَهُ﴾<sup>(2)</sup>؛ أي سبّح معه<sup>(3)</sup>.

فهل يعبّر الإنسان من هذا كلّهُ، ولا يسمح لنفسه أن تكون استثناءً ممّن يسبّح الله من المخلوقات الحيّة وغير الحيّة. وقد ظهر هذا الاستثناء في الخضوع والسجود لله -تعالى-، حيث قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالتَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾<sup>(4)</sup>.

## التسبيح نصف الميزان

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملأ الميزان، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض»<sup>(5)</sup>.

وكان الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لم يتكلّم إلّا بالدعاء، والتسبيح، والاستغفار، والتكبير،

(1) راجع: العياشي، تفسير العياشي، مصدر سابق، ج 2، ص 249.

(2) سورة سبأ، الآية 10.

(3) ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمّد، المصنّف، تحقيق وتعليق: سعيد اللخام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، جمادى الآخرة 1409 هـ - 1989 م، ط 1، ج 7، ص 467.

(4) سورة الحجّ، الآية 18.

(5) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 506.





وخير التسبيح «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»<sup>(2)</sup>، وما ورد في تسبيحات سيّدتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي علّمها إياها رسول الله ﷺ، وهي: سبحان الله (34 مرّة)، والحمد لله (33 مرّة)، والله أكبر (33 مرّة)، فقد ورد في شأنها فضل كبير<sup>(3)</sup>.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص89.

(2) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1370 هـ - 1330 ش، لا.ط، ج1، ص37.

(3) راجع: المصدر نفسه، ص36: الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص500.



## الفصل الخامس



### شهر ضيافة الله





## تمهيد<sup>(1)</sup>

فيما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الإمام علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ خطب في آخر جمعة من شعبان فقال: «أيها الناس، إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دُعيتُم فيه إلى ضيافة الله، وجُعِلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب...»<sup>(2)</sup>.

سنتوقف قليلاً عند دعوة المولى -عزّ وجلّ- المؤمنين إلى ضيافته في هذا الشهر، لنرى كيف تكون الضيافة، وما هي الآداب والشروط الخاصّة لهذه الضيافة.

يرتبط مفهوم الضيافة عادة بالوفود والإقبال والنزول عند المضيف، ومن الواضح أنّ العبد يعيش دائماً بين يدي الله، في دائرة ملكه وسلطانه، ويتنعم بنعمه في جميع أحواله، لا يتصوّر

(1) محاضرة أُلقيت في تاريخ 3\10\2005م.

(2) الشيخ الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، مصدر سابق، ص 77 - 78.

الخروج عن ذلك؛ ممّا يطرح السؤال عن كَيْفِيَّةِ تحقّق الوفود على الله، والدخول في ضيافته، وكيف يختصّ زمان معيّن بالضيافة، كما في الخطبة المتقدّمة للرسول ﷺ، أو مكان معيّن، كما في البيت الحرام الذي يحلّ فيه الحجّيج في ضيافة الرحمن على ما عبّرت بعض النصوص؟.

وينطلق الوفود على الله -تعالى- من حالة الإقبال القلبيّ، والتوجّه، وسلوك الطريق المؤدّي إلى طاعته. والمطيع يفوز بالرضى، ويتحقّق بذلك القرب، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(1)</sup>. يتقرب العبد بالطاعة، وبالعَمَل الصالح، وبالدعاء والمناجاة، فينال درجة المقرّبين، والقريب له حظوة وكرامة، وليس هو القرب المكانيّ؛ لأنّه -تعالى- لم يبتعد بالمسافة ليقترّب بعد ذلك، وإنّما القرب المعنويّ المفضي إلى الدخول في الرحمة واللطف والمنزلة والكرامة.

ولذا، كانت الضيافة الزمانيّة (شهر رمضان) أو المكانيّة (حجّ بيت الله الحرام) مرتبطة بعبادات ونسك خاصّة تنتقل بالإنسان من حالة الغفلة، والابتعاد إلى حالة الذكر، والاقتراب والسفر الروحيّ إليه -تعالى-. ومن مظاهر رحمته ورأفته ولطفه بعباده أن فتح لهم باب الوفود عليه بعد ابتعادهم، والعودة إليه بعد إغراضهم، ولم يغلق أمامهم أبواب التوبة والمغفرة.

(1) سورة البقرة، الآية 186.





ومن هنا ندرك أنّ هذه الضيافة لا يُقدّم فيها الطعام والشراب،  
وإنّما يُقدّم فيها ما هو أعظم، وهو التوبة، والمغفرة، والرحمة،  
والكرامة، وقبول الأعمال، واستجابة الدعاء، والأجر المضاعف  
على العمل الصالح.

وأما آدابها فهي -أيضاً- تتناسب مع طريقة الوفود وطبيعة  
الموفود عليه، وهو الذي ينظر إلى القلوب، وليس إلى الصور  
والمظهر الخارجيّ للوافد فحسب، ويعرف النوايا، ويطلع على  
السرائر؛ الأمر الذي يستلزم أن يعتمد المتميّّ للوفود على الله إلى  
قلبه، فيغسله بماء التوبة، ويزيل منه آثار الخطايا والذنوب كلّها،  
ويمحو ظلماته بأنوار اليقين والمعرفة، ويطيّبه بالمحبّة والإخلاص،  
ويصفّيه ممّا علق به من حبّ الدنيا؛ لأنّ حبّ الدنيا يبعد الإنسان  
عن خالقه وبارئه الذي خلقه للأخرة، وجعل الدنيا طريقاً ومزرعة  
لها، ويزيل عنه كلّ غشاوة تمنعه من النظر إلى ملكوت الباري ورؤية  
عظمته، بذلك نرجو أن تُفتح لنا الأبواب، وندخل في ضيافة المولى.

شهر رمضان المبارك فرصة عظيمة لمن يريد أن يُعيد تصحيح  
مسارته وترميم علاقته مع خالقه وبارئه، حيث إنّّه -تعالى- خصّ  
هذا الشهر بكرامة تميّزه عن بقية الشهور، ليقبل المؤمنون فيه  
عليه، ويعودوا إلى ساحة رحمته، وسلوك طريق رضوانه ومغفرته؛  
ووعدهم فيه بالتوبة والمغفرة، فإنّ الشقيّ من حُرّم غفران الله في  
هذا الشهر العظيم، وهو المُعرض بقلبه عن ربّه، والمستغرق في  
لذات الدنيا، والواقع في أسر الشهوات والهوى، والمتّع لخطوات  
الشيطان، فإنّه -تعالى- لا يحرم أحداً من غفرانه إلّا إذا كان هو

الذي يحرم نفسه بالامتناع عن التوبة، وعن الاستجابة إلى النداء الإلهي.

ومن آداب الوفود إلى ضيافة الله، أن لا نُقبل عليه وفي رقابنا من الحقوق الماديّة والمعنويّة له -تعالى- ولعباد الله، ما نطالب به ونحاسّب عليه، فآداء الحقوق دليل صدق التوبة، وهو من شرائط القبول، كما أنّ الاهتمام بأهل طاعة الله من الفقراء والمساكين وغيرهم من الرفقاء في طريق السلوك إلى الله -تعالى- يدخل في آداب التهيؤ لضيافة الله -تعالى-.

اللهم وفقنا لصيامه وقيامه، وتقبل عملنا، واغفر لنا ما تقدّم وما تأخّر من ذنوبنا، واجعلنا من أهل السعادة ببلوغ رضاك، ولا تجعلنا من أهل الشقاء الذين يُحرمون بركات هذا الشهر الشريف والمبارك.

## شهر الجهادين الأكبر والأصغر

### 1 - شهر رمضان سيّد الشهور:

الظرف والوعاء يكتسب أهمّيته من الشيء الموضوع فيه، والزمان والمكان ظرفان للحوادث يكتسبان خصائصهما المعنويّة من تلك الحوادث التي تقع فيهما، فعندما نجد لأحدهما حرمة معيّنة أو فضيلة خاصّة؛ فلأنّه ارتبط بحدث وقع فيه جعله كذلك؛ ولذا خصّ الله -سبحانه وتعالى- بعض البقاع بأمور ميّزها بها عن غيرها، فجعل لبعضها حرمةً، وفرض على من يدخل إليها جملة





من الآداب والمناسك، وفضّل العبادة فيها عن العبادة في غيرها، وضاعف عليها الأجر، كما جعل الدعاء في بعضها أقرب إلى الإجابة. ومن هذه البقاع المسجد الحرام، ومسجدُ النبي ﷺ، ومنها أيضاً الروضة الحسينيّة التي يطلق عليها اسم «الحائر»، وعند مرقد سيّد الشهداء ﷺ خاصّة، فقد ورد في الحديث عن مولانا الإمام الهاديّ ﷺ أنّه بعث بعض مواليه إلى كربلاء ليدعو له بالشفاء من علّة أَلَمّت به، وقال: «إنّ لله -تعالى- بقاعاً يحبّ أن يُدعى فيها فيستجيب، ومنها الحائر»<sup>(1)</sup>.

وأما الأزمنة، فقد خصّ شهر رمضان المبارك بالفضل والشرف، وامتاز على غيره من شهور السنة بميزات جمّة، ووُصف بأنّه سيّد الشهور، وأيّامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، بل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها، بإذن ربهم من كلّ أمر، سلام هي حتّى مطلع الفجر.

ولا شكّ في أنّ منشأ الشرف والفضل لهذا الشهر أنّه نزل القرآن الكريم فيه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾<sup>(2)</sup>.

بل هو شهر نزول الكتب السماويّة كلّها على أنبياء الله العظام ورسله الكرام ﷺ، كما ورد في النصّ عن الإمام جعفر الصادق ﷺ حيث قال: «نزلت التوراة في ستّ مضين من شهر رمضان، ونزل الإنجيل في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر

(1) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة

نشر الفقاهة، إيران - قم، 1417هـ، ط1، ص460.

(2) سورة البقرة، الآية 185.

رمضان، ونزل الزبور في ثماني عشرة مضت من شهر رمضان، ونزل القرآن في ليلة القدر»<sup>(1)</sup>.

وفي رواية أخرى نزول صحف إبراهيم عليه السلام<sup>(2)</sup>، وكتاب آدم عليه السلام<sup>(3)</sup> فيه أيضاً.

فلأجل ذلك صار سيّد الشهور، وجعل الصوم فيه يأتي في سياق الشكر والإقرار بالمِنّ الإلهيّة التي أعظمها منّة الهداية، وإرسال الرسل والمنذرين، وإنزال الكتب والشرائع؛ ولأجله أيضاً تُفتَح في الشهر المبارك أبواب السماء، ويتضاعف الأجر، وتُقبل التوبة، وتنزل الرحمة.

## 2 - شهر رمضان محطة عباديّة:

هذا الشهر المبارك بما فيه من عبادة خاصّة، وبما له من فضل عظيم، يشكّل محطة سنويّة، يقف عندها المؤمن، ليُعدّ تقييم واقعه ومستوى علاقته برّبّه وبارئهِ، فيسترجع ذاكرته، ويستحضر مفكّرة أعماله في جردة شاملة تشكّل مدخلاً لإعادة الحسابات، ودراسة الأعمال، يحتاج عندها الإنسان إلى استجماع القوى، وتقوية الإرادة، وشحن العزيمة، والانطلاق في عمليّة غسيل شاملة، لإزالة الأدران، والخطايا، والذنوب، والانحرافات التي تسود

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجامعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1414 هـ.ق، ط2، ج2، ص159.

(2) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخرّيج: صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1415 هـ.ق - 1995 م، لا.ط، ج25، ص138.

(3) لم نعثّر عليه.



الصحيحة، وتظلم القلب، وتعمي البصيرة، والعودة إلى دائرة الطاعة والعبودية التي تضمن للإنسان سعادته الدنيوية والأخروية. خاصّة أنّه -تعالى- رحيم بعباده، فتح لهم باب التوبة، ووعدهم بالمغفرة، والرضوان.

شهر رمضان -إذاً- دورة تربويّة عظيمة، يخضع لها المؤمن سنوياً؛ ليدرّب نفسه من جديد على طاعة ربّه، وتقوية إرادته، وتجديد عزيمته على مواجهة الأهواء، وتطويع الغرائز والميول والشهوات، ومقاومة الشياطين الذين يتربّصون به. ولا شكّ في أنّ الصوم وغيره من أنواع العبادات تحقّق لنا ذلك كلّ إذا أُدّيت بالشكل الصحيح وبالشروط التامة.

وممّا ينسجم تماماً مع هذه الغاية، ما ورد في الحديث أنّ أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله؛ لأنّ ذلك يشكّل الخطوة الأصعب والعقبة الأكبر، إذا ما تجاوزها دخل في صلب الجهاد الأكبر؛ أي جهاد النفس، في تزكيتها وتربيتها وترويضها وتنمية الاستعدادات اللازمة لبقية مراحل المواجهة.

فشهر رمضان هو شهر الجهاد الأكبر، وبين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر علاقة وثيقة وتكامل، وهذا يدفعنا إلى الحديث عن دور الشهر المبارك، ودور العبادات الخاصّة، وبالأخصّ عبادة الصوم في دفع الإنسان نحو الجهاد، وفي رفع معنويّات المجاهدين ومنحهم روحاً خاصّة، وزيادة قدراتهم واستعداداتهم لمواجهة الأعداء ومقاومة الظلم والظالمين.

العبادة بمعناها الصحيح، وبمفهومها الدقيق تنتج إنساناً مجاهداً، إنساناً ثابت اليقين، قوي الإرادة، صاحب بصيرة، وسكينة، يتحقق النصر على يديه، وترتفع راية الحق بفضل جهاده وصبره ودمائه وشهادته.

لأنَّ الجهاد في المفهوم الإسلامي لا يمكن أن ينفك عن التقوى، وعن الإيمان، وعن الارتباط بالله -تعالى- والاستعانة به، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الهدف من القتال مشروعاً، بل واجباً وضرورياً، فليس هناك في الإسلام جهاد من موقع الرغبة في الانتقام، والحرص على الدنيا، وحب السيطرة والاستيلاء، وإنما هو جهاد ينتصر للحق والعدل والدين والإنسانية، وإذا طلبت الدنيا فبالمقدار الذي يفرضه كونها وسيلة لإقامة العدل وإرساء قواعد الحق والتقوى.

يدخل ابن عباس على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخصف نعله، فيسأله عليه السلام وهو يرفع تلك النعل بإصبعه: «ما قيمة هذه النعل؟»، فيقول: لا قيمة لها.

فيقول عليه السلام: «والله، لَهِىَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا»<sup>(1)</sup>.

فالسُّلطة في نظر الإمام علي عليه السلام وسيلة لإقامة الحق ودفع الباطل، وليست غاية تُطلب بنفسها، ويُبذل في سبيل الحصول عليها كل غالٍ ونفيس، كلاً، بل هي مجرد مدخل إلى غيرها، طريق للوصول إلى هدف آخر، هو إقامة الحق ودفع الباطل.

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، الخطبة 33، ص 76.



وهذا الاعتبار يصبح الجهاد من أجل هذا الهدف من صلب اهتمامات الدين، ومن أهم سنن الشريعة؛ لأنه يشكل طريقاً للوصول إلى غايات الدين والشريعة.

وليس بعيداً عن هذا السياق أن تقع أول معركة مظفّرة في الاسلام، معركة بدر الكبرى في شهر رمضان، عندما خرج رسول الله ﷺ بأصحابه لمواجهة زحف المشركين وردّ كيدهم، فأنزل الله سبحانه نصره وتأييده على رسوله وأهل بيته، وعلى جميع المؤمنين.

وإذا كان الشهر المبارك شهر الطاعة والعبادة، فهي لا تنحصر في الأدعية المسنونة، ولا في الصلوات المكتوبة ولا المستحبة، بل تتجاوزها إلى كلّ طاعة وإلى كلّ عبادة؛ كالصدقة، وقضاء حوائج المؤمنين، وردّ كيد الظالمين، والجهاد في سبيل الله، ومضاعفة الأجر لا شكّ في أنّها تشمل هذه الطاعات كلّها.

كيف لا! والجهاد في سبيل الله أهمّها وأخطرها وأشدّها تأثيراً؛ لأنّه الدفاع عن عزة الدين وشرفه، وعن حوزة المسلمين وأمنهم، وقد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه: «بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ»<sup>(1)</sup>، فلكي يوفّق المؤمن للدخول من هذا الباب عليه أن يكون من خاصّة الأولياء، وهو ما يحتاج إلى الكثير من العمل، ويتوقّف على تحصيل طهارة النفس، ومجاهدتها، وشهر رمضان المبارك خير مناسبة للانطلاق في هذه المسيرة، والسموّ في عالم الطهارة والصفاء، إذا أحسنّا الاستفادة من أوقات هذا الشهر، ومن ساعاته، في العمل، والإخلاص، والجهاد بنوعيه: الأصغر والأكبر.

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، الخطبة 27، ص 69.



## الفصل السادس



### بين عنواني السعادة والشقاء ومفهومي الفقر والغنى







## تمهيد

يربط الأعمّ الأغلب من الناس في الثقافة الشعبيّة بين السعادة والغنى وبين الفقر والشقاء، وهذا الربط يتفرّع على فهم المراد من الفقر والغنى، وعلى تحديد معنى السعادة الحقيقيّة والشقاء الحقيقيّ. ومن الطبيعيّ أن يسعى الإنسان للوصول إلى عوالم السعادة، وأن يبتعد عن السبل المؤدّية إلى عالم الشقاء، بقطع النظر عن صوابيّة الرؤية، ودقّة التشخيص، ومعرفة الموجبات الواقعيّة، والسبل المؤدّية فعلاً إلى أيّ من الاتجاهات التي نطلبها أو نتوقّأها ونحذرُها.

## تحرير المفهوم

اللّغة: «الفقر: ضدّ الغنى...؛ والفقر: الحاجة، وفعله الافتقارُ، والنعْتُ فقيرٌ»<sup>(1)</sup>. قال ابن السكيت: «الفَقِيرُ الذي له بُلْعَةٌ من العيش...؛ وقال ابن الأعرابي: «الفَقِيرُ الذي لا شيء له، والمسكين مثله»<sup>(2)</sup>.

(1) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، إيران - قم المقدّسة، 1405 هـ / 1363 هـ، ط، ج 5، ص 60.

(2) الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ - 1987 م، ط 4، ج 2، ص 782.

ولكنّ الحاجة قد تكون بمعنى الحاجة الذاتية: كفقر الموجودات الذاتي، ونقصها، وحاجتها إلى موجدها؛ ابتداءً واستمراراً، وبالتالي يكون المراد من الغنى هو الغنى الذاتي والمطلق، المنحصر بغنى الخالق الموجد، الذي لا فقر في ساحته، المنزه عن النقص والحاجة، والذي عنده خزائن كلّ شيء، وبيده ملكوت كلّ شيء، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾<sup>(1)</sup>.

وقد تكون الحاجة بمعنى نسبي، يرتبط بالرغبة والحاجات الاعتبارية؛ كشعور الإنسان بالحاجة إلى ما يشبع شهواته وميوله ورغباته، بقطع النظر عن مدى الاضطراب إليها وعدمه، ومدى توقّف الحياة عليها، وانعكاسها على أهداف الخلقة والمصير النهائي للإنسان.

كما أنّ الغنى كذلك يؤخذ بمعنى الاستغناء المطلق عن الموجودات كلّها وعدم الحاجة إليها، وقد يؤخذ بمعنى نسبي؛ كالاستغناء عن الطلب، وعن الكماليّات، وعن الكثير من الأشياء التي يطلبها الناس ويسعون إليها، أو الغنى بمعنى توفر الأشياء التي يرغب فيها ويريدها.

والشائع في الاستعمال العرفي الشعبي هو الفقر والغنى البشريّين المادّيّين المتعلّقين بالحاجات المعيشيّة على اختلاف مستوياتها، واختلاف مقدار الاضطراب إليها؛ ولذا نجد أنّ بعض الأعراف المدنية يضع محدّدات ومعايير قابلة للقياس لخطّ الفقر، تقوم على أساس التباين على معدل الحاجات المعيشيّة العرفيّة للإنسان

(1) سورة الحجر، الآية 21.





في زمن معيّن وبيئة اجتماعيّة ذات خصائص عرفيّة متباني عليها، وهذا الأمر قد يختلف من زمن إلى زمن، ومن مجتمع إلى مجتمع. وقد يفرّع الناس على ذلك تطبيق عنواني السعادة والشقاء، فيعدّون أن توقّر سبل العيش الكريم ومتطلّبات الرفاهية المعيشيّة يجسّد السعادة، وهذا يستبطن فهماً خاصاً لمعنى السعادة والشقاء، عن طريق ربط المفهومين بإشباع الحاجات والرغبات الماديّة والمعيشيّة، وتحقّق الرفاه والثروة، على الرغم من أنّ السعادة تتعلّق بالرضى والشعور بأنّ الأمور تجري في الاتجاه الذي يقرب الإنسان من أهدافه وغاياته، فالمسألة مرتبطة بفهم الإنسان للأهداف والغايات التي يسير إليها ويسعى إلى تحقيقها، ومن هنا يقع الاختلاف في النظرة إلى الفقر والغنى وإلى السعادة والشقاء.

## الغاية والوسيلة

ينبغي أن نميّز بين الغاية والوسيلة لكي لا نصبّ اهتمامنا كلّه على الوسائل والأدوات، متخيّلين أنّها غايات وأهداف. الإنسان لم يُخلَق ليأكل، ويتنعم، ويتلذّذ بالشهوات التي يستشعرها فحسب. إنّ من يتخيّل ذلك تراه يعيش ليأكل، والحال أنّه ينبغي أن يأكل ليعيش، ويقوم بواجبات ومهامّ يعيش لأجلها. المال الذي يعمل الناس من أجل كسبه والحصول عليه وجمعه وادّخاره ليس سوى وسيلة للحصول على متطلّبات المعيشة، والمعيشة نفسها ليست غاية، وإنّما هي وسيلة لبلوغ غايات أخرى، وفهم هذه الغايات يحدّد

للإنسان مسار حياته وألويّاته، ويرتّب خطواته بما ينسجم مع بلوغ المرام.

فإذا نجح في ذلك، شعر بالرضى والسعادة، حتّى وإن كان يعاني من هموم الحياة وصعوبات العيش، بل ربّما وجد سعادته في الفقر، وتعامل مع البلاءات الدنيويّة بالتسليم والرضى، وعرف كيف يسخر ذلك لتربية نفسه على التسليم لأمر الله، والرضى بقضائه، ليصل إلى درجة الإحساس بلذّة الجوع في رضى الله، والاطمئنان في طريق طاعته.

## السعادة الحقيقيّة

من اللافت أنّ النصوص القرآنيّة لا تتناول السعادة والشقاء إلّا في الحياة الأخرويّة، وهذا يعني أنّ السعادة الحقيقيّة هي الفوز بالرضوان في دار الخلد، وفي الحياة الحقيقيّة الدائمة، ويتحقّق الشقاء الحقيقيّ أيضاً في تلك الدار عندما يلاقي الخاسر مصيره الجهنّيّ، ويفد على ربّه صفر اليدين، ويعرّض نفسه لسخط المولى -عزّ وجلّ-.

قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقَىٰ وَسَعِيدٌ﴾<sup>(1)</sup>.

(1) سورة هود، الآية 105.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ  
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَحْذُوزٍ﴾<sup>(1)</sup>.

ويمكن لنا أن نوسّع مفهوم السعادة والشقاء ليشمل السعادة والشقاء في الحياة الدنيا باعتبارها مزرعة الآخرة؛ ولأنّ مقدّمات السعادة الأخروية تظهر في معتقدات الإنسان، وبصيرته، وسجاياه، وأخلاقه، ونقاء سيرته، وأعماله في الدنيا، وهذا يُشعر الإنسان بالارتباط بخالقه القوي، والغني، والرحيم، واللطيف، والجواد، وأنّه يقترب منه، ويناجيه، ويعبده، ويشعر بالطمأنينة في رحاب رحمته.

روى الأُمديّ في غرر الحكم، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّما السّعيد من خاف العقاب فأمن، ورجا الثّواب فأحسن، واشتاق إلى الجنّة فأدلج»<sup>(2)</sup>.

وروي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في جواب أسئلة الزنديق، أنّه قال: فَمَا السَّعَادَةُ وَمَا الشَّقَاوَةُ؟ قَالَ عليه السلام: «السَّعَادَةُ سَبَبُ الْخَيْرِ تَمَسُّكَ بِهِ السَّعِيدُ فَيَجْرُهُ إِلَى النَّجَاةِ، وَالشَّقَاوَةُ سَبَبُ خِذْلَانٍ تَمَسُّكَ بِهِ الشَّقِيّ فَيَجْرُهُ إِلَى الْهَلَكَةِ، وَكُلٌّ بَعْلَمُ اللَّهِ»<sup>(3)</sup>.

وعن ابن عبّاسٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا وَإِنَّ السَّعِيدَ مِنْ اخْتَارَ بَاقِيَةَ يَدُومَ نَعِيمِهَا، عَلَى فَانِيَةٍ لَا يَنْفَدُ عَذَابُهَا،

(1) سورة هود، الآية 108.

(2) الأُمديّ، غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج 1، ص 108.

(3) الطبرسي، الشيخ أحمد بن علي، الاحتجاج، تعليق: السيّد محمّد باقر الخرساني، دار النعمان للطباعة والنشر، العراق - النجف الأشرف، 1386 هـ - 1966 م، لا. ط، ج 2، ص 96.

وَقَدَّمَ لَمَّا يَقْدَمُ عَلَيْهِ مِمَّا هُوَ فِي يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُخَلِّفَهُ لِمَنْ يَسْعَدُ  
بِإِنْفَاقِهِ، وَقَدْ شَقِيَ هُوَ بِجَمْعِهِ»<sup>(1)</sup>.

وعن الإمام عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي كَلَامٍ لَهُ أَنَّهُ قَالَ:  
«...وَالسَّعِيدُ مَنْ وَصَلَ حَبْلَهُ بِحَبْلِهِ، وَالشَّقِيُّ الْهَالِكُ مَنْ خَرَجَ مِنْ  
جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَالْمُطِيعِينَ لَهُ...»<sup>(2)</sup>.

وبناءً عليه، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي الْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ الْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ  
الْحَقِيقِيَّةِ، وَعَدَمِ الْإِغْتِرَارِ بِزِينَةِ الدُّنْيَا وَمِبَاهِجِهَا الْفَانِيَةِ وَالْمَشْهُوبَةِ  
بِالْمَنْغَصَّاتِ.

## بين الغنى والسعادة الدنيويّة

بَغْضَ النَّظَرِ عَنِ الْمَعْيَارِ الْآخَرِيِّ لِلْسَّعَادَةِ، فَلَيْسَ ثَمَّةُ تَلَازُمٍ  
بَيْنَ السَّعَادَةِ وَالْغِنَى، وَذَلِكَ لِلْأَسْبَابِ الْآتِيَةِ:

1 - الْغِنَى لَا يَوْصِلُ الْإِنْسَانَ بِالضَّرُورَةِ إِلَى الشُّعُورِ بِالرِّضَى وَالْإِكْتِفَاءِ،  
فَكُلَّمَا بَلَغَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ الْغِنَى ارْتَقَى فِي الطَّلَبِ إِلَى مَرْتَبَةٍ أُخْرَى، وَصَارَ  
هَمُّهُ الْوُصُولُ إِلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ، فَعَنْ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:  
«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ابْنُ آدَمَ، إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا مَا  
يَكْفِيكَ، فَإِنَّ أَيْسَرَ مَا فِيهَا يَكْفِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ مَا لَا يَكْفِيكَ، فَإِنَّ  
كُلَّ مَا فِيهَا لَا يَكْفِيكَ»<sup>(3)</sup>.

(1) الدِّيلِي، الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَعْلَامُ الدِّينِ فِي صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، تَحْقِيقٌ وَنَشْرٌ: مُؤَسَّسَةُ  
آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِإِحْيَاءِ التَّرَاثِ، إِيرَانَ - قِمِّ الْمَقْدَسَةِ، لَا. ت. ط. ص 245.

(2) التَّفْسِيرُ الْمُنَسُوبُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَحْقِيقٌ: مَدْرَسَةُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
مَدْرَسَةُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِيرَانَ - قِمِّ الْمَقْدَسَةِ، رَبِيعُ الْأَوَّلِ 1409 هـ، ط 1، ص 612.

(3) الشَّيْخُ الْكَلِينِي، الْكَافِي، مُصَدَّرٌ سَابِقٌ، ج 2، ص 138.



ولذا كانت القناعة كنزاً لا يفسى، حيث إنها من أهم مظاهر الغنى؛ لأنها توفر للإنسان الرضى والشعور بالاكْتفاء باليسير المتوفّر عن تحمّل همّ الطلب وتبعاته النفسية والمعنوية. وقد ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْقُذُ»<sup>(1)</sup>، وعن الإمام أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس»<sup>(2)</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام: «وَلَا كُنْزٌ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ، وَلَا مَالٌ أَذْهَبَ لِفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوْتِ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكِفَافِ، فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةُ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ، وَالرَّغْبَةَ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ»<sup>(3)</sup>.

2 - الغنى قد يوفر للإنسان جملة من حاجاته ومتطلبات معيشته، ولكن الغنى لا يمنح الإنسان كلّ ما يشعر بالحاجة إليه من الناحية المعنوية والعاطفية والروحية. ولا شكّ في أنّ النقص في هذه الجوانب يقضّ المضجع، ويوقع الإنسان في العديد من الهموم والغموم.

3 - الغنى لا يضمن للإنسان حياة خالية من البلاءات الجسدية والصحية، التي إذا ابتلي بها فقد القدرة على الاستمتاع بملذّات الدنيا، وتنغصّ عيشه، ولم ينفعه كلّ ما جمع من مال، وما حازه من دنيا، مهما بلغ مبلغها.

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، الحكمة 57، ص 478.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 139.

(3) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 540.

4 - النعم الوفيرة تحمّل الإنسان مسؤوليّات بحسبها، فمقابل كلّ نعمة تكليف، وربّما قصّر في القيام بالتكليف وأداء حقّ النعمة، فتحوّل النعمة إلى نقمة، وهذا باب من أبواب الشقاء كان في منأى عنه، وفي راحة منه قبل ورود النعمة.

فقد روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «من رضي من الله باليسير من المعاش، رضي الله منه باليسير من العمل»<sup>(1)</sup>.

### الموقف السليم

ينبغي للمؤمن أن يدرك أنّ الإنسان مخلوق للآخرة وليس للدنيا، وأنّه في الدنيا يعيش في سفر، فليتعامل معها على أنّها متاع مسافر يأخذ منها ما يحتاج إليه في سفره فقط، ولا ينشغل بها عن مقصده، ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمُلْقِيهِ﴾<sup>(2)</sup>، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

كما ينبغي للعاقل أن يربّي نفسه على القناعة، والنظر إلى الحاجات الواقعيّة، وعدم مقايضة حاله مع أحوال أهل النعم والأغنياء، بل ينبغي أن ينظر إلى الفقراء والمحتاجين ممّن هم دونه، فيشعره ذلك بالرضى؛ وينبغي أن يحمد الله على نعمه التي لا تحصى، والتي أفاضها عليه، وإذا كان يجد عند غيره من النعم ما

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 138.

(2) سورة الانشقاق، الآية 6.

(3) سورة القصص، الآية 60.



لم يحصل عليه فهذا ليس باب الحرمان، وإنما هو بلاء عافاه الله منه، واختبار لم يعرضه الله له، وإن كان فيه لذة فاتته، فهي لذة عابرة سرعان ما تنتهي وتنقضي وتبقى تبعاتها، وإذا حُرِمَ منها فقد أعدَّ الله له إذا رضي بذلك من الثواب الجزيل ما يجعله يوم القيامة يتمنى أنه لم يحصل على شيء من متاع الدنيا؛ لما يراه من جزيل الأجر.

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «إِيَّاكَ أَنْ يَطْمَحَ بِصِرْكَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَكُفَى بِمَا قَالَ اللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾<sup>(1)</sup>، وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ زُجَّاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(2)</sup>. فَإِنْ دَخَلَ شَيْءٌ، فَادْكُرْ عَيْشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَإِنَّمَا كَانَ قُوْتُهُ الشَّعِيرَ، وَحُلُوَاهُ التَّمْرَ، وَوَقُودُهُ السَّعْفَ إِذَا وَجَدَهُ»<sup>(3)</sup>.

ومن اتَّخَذَ من رسول الله ﷺ أسوة، فَإِنَّهُ لَنْ يَتَفَاخَرَ بِالْغِنَى، فَقَدْ رُوي عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْفَقْرُ فُخْرِي وَبِهِ أَفْتَخِرُ»<sup>(4)</sup>، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»<sup>(5)</sup>.

وهذا خطاب لكلّ من يتفاخر بالغنَى والثراء، ولكلّ من يتعالى على الفقراء والمساكين، ويستهين بهم، ويحتقرهم لفقرهم.

(1) سورة التوبة، الآية 55.

(2) سورة طه، الآية 131.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 138.

(4) ابن فهد الحلبي، عدّة الداعي ونجاح الساعي، مصدر سابق، ص 113.

(5) الشيخ الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، مصدر سابق، ص 228.



## الفصل السابع



### الصدقة والوفاء





## تمهيد

لا شك في أنّ الصداقة من أهمّ المفاهيم الاجتماعية والقيميّة. ولا نقاش في أنّ الإنسان لا يمكن أن يستغني عن بناء صداقة مع بعض من يحبّ من الناس. ولا بدّ في المقام من معالجة بعض النقاط المرتبطة بهذا المفهوم، وسنحاول استعراضها ضمن مجموعة من العناوين:

### النقطة الأولى: من هو الصديق؟

هل كل من نلتقيه ونتعرّف عليه ونرافقه أو يرافقنا فترةً معيّنة يصبح صديقاً؟ وهل تتحقّق الصداقة بمجرد الرفقة والمصاحبة؟ أم أنّ لها مفهوماً لا ينطبق إلّا على عدد محدود من الرفقاء والأصحاب؟

من الملاحظ أنّ بعض الناس يخلطون بين عنوان صاحب وعنوان الصديق، على الرغم من وجود اختلاف بينهما، وإن اجتمعا في بعض الأحيان في شخص واحد، حيث إنّ صاحب من تجمعنا به الأيّام والمناسبات في سفر، أو عمل مشترك، أو على مقاعد الدراسة، أو ما شابه ذلك، أمّا الصديق فله مواصفات خاصّة، ولا يُطمأنّ لصداقته إلّا بعد الاختبار والتمحيص.

فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تُسمِّ الرجل صديقاً سمةً معرفةً حتَّى تختبره بثلاث، فتنظر غضبه، يخرج به من الحقِّ إلى الباطل؟ وعند الدينار والدرهم، وحتَّى تسافر معه»<sup>(1)</sup>.

فلا مانع من مصاحبة الناس كلِّهم، ومجاملتهم، وبناء علاقات وثيقة معهم، إلَّا أننا عندما نريد أن نتَّخذ صديقاً نأمنه على سرِّنا وخصوصياتنا وأموالنا، فلا بدَّ من أن نختبر أمانته، ووفاءه، وإخلاصه، وصدقه، لكي لا نقع في الوهم والاغترار، ولكي لا نتفاجأ بأمور غير متوقَّعة، وتتكشف لنا الحقيقة بعد فوات الأوان، فصديقك من صدِّقك لا من صدَّقك.

وقد ورد في هذا المجال عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ»<sup>(2)</sup>.

وعنه عليه السلام أنه قال: «لا تثق بالصديق قبل الخبرة»<sup>(3)</sup>؛ أي قبل الاختبار والتمحيص والامتحان.

ومن مواعظه عليه السلام أيضاً: «ابذل لصديقك كلَّ المودة، ولا تبذل له كلَّ الطمأنينة، وأعطه من نفسك كلَّ المواساة، ولا تفضي إليه بكلِّ أسرارك»<sup>(4)</sup>.

(1) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم المقدسة، 1414هـ، ط1، ص646.

(2) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص494.

(3) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص522.

(4) المصدر نفسه، ص80.



ومنه يتبيّن أنّ المشكلة هي أنّنا لا نعرف الصديق من غيره، ونثق بالأصحاب دون أن نجربهم، وقد نأمنهم على كلّ شيء قبل أن نخبر أمانتهم وصدقهم ووفاءهم، فنقع في المحذور.

## النقطة الثانية: أهميّة الوثائق والشهادات حتّى مع أقرب الناس

لا ينبغي الاتكال على الوثيقة وحسن الظنّ وحدهما على الرغم من أهميّة ذلك، فمن أراد أن يحفظ الأخوة والصدقة، فعليه أن يعتمد في المعاملات الماليّة والاتّفاقات إلى التدوين والتوثيق والإشهاد بحسب الأصول، وكأنّ المعاملة تتمّ بين غريبين، فحقوق الأخوة والصدقة محصورة في التسامح بالمضمون دون الشكل، فليس من المعلوم ولا من الضروري أن تكون سوء النية موجودة منذ البداية وبشكل مُسبق عند من يُقدّم على الخيانة والتنكّر للصدقة، بل إنّ الشيطان يوسوس للإنسان لاحقاً، ويغري صاحب النفس الضعيفة عندما يجد ثغرة يمكنه النفوذ من خلالها، فالشيطان يكمن في التفاصيل -كما قيل-، فينبغي سدّ الثغرات والمنافذ التي يمكن أن يستغلّها الشيطان، حفاظاً على مالنا وحقوقنا من جهة، وحفاظاً على علاقاتنا الطيّبة وصدقاتنا من جهة أخرى، فلا نضعهم في معرض السقوط والوقوع في شرك الخيانة والغدر، بقطع النظر عن الاختبار وعدمه.

ولعلّ أكثر النزاعات التي تحصل بين الناس في المعاملات الماليّة والشركات التجاريّة تعود إلى خلل في استعمال الوثائق والكتابة والإشهاد، أو لعدم الوضوح في الاتّفاقيات والعقود، جهلاً أو إهمالاً

أو اتكلاً على حسن الظن؛ ممّا يفتح الباب بعد ذلك أمام تسويات النفس الأمارة بالسوء، وأمام التأويلات والتفسيرات المختلفة، وربما لضعف الذاكرة ونسيان التفاصيل أحياناً.

وقد أمر الله -تعالى- بالكتابة والإشهاد حتّى في صغير الدين فضلاً عن كبيره، حيث يقول -تعالى-: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾<sup>(1)</sup>.

### النقطة الثالثة: التربية الاجتماعية

تمثّل هذه الوقائع عيّنة محدودة جداً ممّا يعانيه المجتمع من مشكلات، وهذه المشكلات تسلّط الضوء على خلل في الجانبين التربوي والأخلاقي، فعندما تتفشّى ظاهرة الخيانة، وتتلاشى مظاهر الوفاء، فلا بدّ من أن ذلك يعود إلى جذور تربويّة تمتدّ إلى أيّام الطفولة الأولى.

لكن كيف نربّي أبناءنا على الوفاء والأمانة والصدق؟ وكيف نربّيهم على القيم الاجتماعية؟ وكيف نجعلهم يتحمّسون المسؤولية عن حفظ حقوق الآخرين كما يحفظون حقوقهم بل أشدّ؟ وكيف نجعلهم يحبّون لغيرهم ما يحبّون لأنفسهم؟

ولا شكّ في أنّ المشكلة تكمن في غياب البرامج التربويّة التي تُعنى بزرع القيم، أو عدم فعاليتها، خاصّة في زماننا الحاضر الذي تسيطر على عالمه النزعة الماديّة والاهتمام بالثروة حتّى كثر القارونيون،

(1) سورة البقرة، الآية 282.



واللاهثون وراء الغنى بأيّ وسيلة وبأيّ أسلوب، وهؤلاء ينظرون إلى القيم والعلاقات والصدقات والمعاملات بميزان النفع المادّي فحسب، فأنت صديق عزيز عليه إذا كان ينتفع من صداقتك، ولا محلّ لك في اهتماماته إذا أصبحت صداقتك عبئاً عليه أو ليست بذی نفع، فلا عجب عندئذٍ من تنامي ظاهرة التنكّر للصدقة، وانتشار الغدر والخيانة، ليس مع الأصدقاء فحسب، بل حتّى بين أقرب المقرّبين؛ أي بين الأخ وأخيه.

ولا نريد أن نكتفي بتوصيف المشكلة في المقام، فلا بدّ من إطلالة سريعة على وسائل التربية على القيم، فالوعظ والإرشاد قد ينجحان في إكساب المعرفة، ولا أظنّ أنّ أحداً ممّن يمارس الغدر والخيانة تنقصه المعرفة، فهو لا يمارس ذلك جهلاً بالمفهوم أو جهلاً بالقبح الذي يتّصف به ذلك العمل، فنحن بحاجة إلى برامج للتربية على القيم الاجتماعيّة، هذه البرامج تُكسب الإنسان مواقف إيجابيّة بحسب مصطلح علماء التربية، وتكسبه ملكة أخلاقيّة بحسب اصطلاح علماء الأخلاق، بحيث يصبح حريصاً على الصديق عندما يكون الصديق بحاجة إليه، وحريصاً على الوفاء عندما يكون الوفاء مُكلّفاً، وحريصاً على الأمانة عندما يكون في أمسّ الحاجة إلى ما في يده، فيصبح ذلك جزءاً من شخصيّته ومن قناعاته الراسخة وسجاياه الأصليّة.

وهذا يدفعنا إلى العودة إلى واقعنا الأسريّ: لأنّ الأسرة هي البيئة التي تتشكّل فيها النواة الأولى لشخصيّة الطفل وأخلاقيّاته ومواقفه، وتأتي العوامل المؤثّرة الأخرى لتسقي تلك البذرة وتنمّيها، وقد تؤدّي دوراً معاكساً.

فعندما يتربى الطفل في الأسرة بين أبوين يمتلكان أصالة القيم والأخلاق الاجتماعية، يكتسب الطفل منهما -دون حاجة إلى درس وتوجيه وإرشاد- بذور الأصالة أو القيم التربوية كلها، فيكتسب منهما الصدق، والوفاء، والأمانة، والحرص على حقوق الآخرين، والتضحية، والعطاء، والاهتمام بالمال العام...

وليس المقصود إلغاء دور العوامل التربوية الأخرى التي تترك آثارها -أيضاً- على تشكّل شخصيّة الطفل، بل المقصود تسليط الضوء على أهميّة سلوك الأبوين وممارساتهما وأخلاقهما، ودوره التأسيسي.

يكفي أن يرى الطفل أحد أبويه (الذين يمثلون القدوة بالنسبة إليه) يُخلف وعداً ليسقط هذه القيمة الفطرية، أو يتنكّر لحقٍّ، أو يتسامح في مال الغير، وأمثال ذلك.

يكفي أن يكذب أحد الأبوين مرّة على الطفل نفسه أو على مسمع منه، ليكتسب منهما هذه الآفة، فيبدأ بممارستها معهما أو مع رفاقه.

يكفي أن يوصي أحد الأبوين ابنه بإخفاء أمرٍ اطّلع عليه عن الآخر، ليتعلّم منه الخديعة والحيلة، فيمارس ذلك معه أو مع غيره.

هذا يعني أنّ التربية بالقدوة من أكثر الوسائل تأثيراً؛ ولذلك بعث الله -سبحانه وتعالى- الأنبياء، واختارهم من أفضل أهل زمانهم، ليكونوا قدوة لهم، لتقترن الكلمة بصدق الموقف، وصفاء النية، وإخلاص العمل، فتقع الكلمة في القلب، ولا تتلاشى عند بوابة الأذن.



وقد ورد التأكيد في الآيات والروايات على أهميّة القدوة في العمليّة التربويّة، ومنها قوله -تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(1)</sup>، وكذلك قوله -تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(2)</sup>.

فعلى كلّ مربٍّ، سواء أكان أمّا أم أباً أم معلّماً، أن يكون قدوةً وأُسوةً في سلوكه وتصرفاته، وفي أخلاقه ومواقفه، قبل أن يكون واعظاً ومرشداً وموجّهاً.

فعلى المناهج التربويّة المدرسيّة أن تُعنى بتطوير وسائلها، لكي تتمكّن من زرع القيم وترسيخها، ومعالجة البلاءات التي كرّستها ثقافة المادّة والاستغلال والأنانيّة.

### النقطة الرابعة: دور المقاومة والعمل الجهادي في تأصيل القيم الاجتماعيّة

قد يثير هذا العنوان استغراب القارئ للوهلة الأولى، إلّا أنّ الواقع أثبت أنّ العمل الجهاديّ المقاوم، والنابع من الشعور بالتكليف والمسؤوليّة الشرعيّة، يربّي المجتمع كلّ المجتمع على التضحية وبذل الغالي والنفيس، بدءاً من عطاء الدم، وانتهاءً بعطاء المال والموقف، وهذه من مظاهر الوفاء المكلف. ومن يتدرّب على هذا المستوى من التضحية للأمة وللوطن وفي سبيل الله، تزُلّ من نفسه آثار الأنانيّة، ومن يعيش الآخرة باستمرار والاستعداد للقاء الله في أيّ لحظة تصغر الدنيا في عينه، فلا يبقى لها قيمة ليغترّ بها

(1) سورة الأحزاب، الآية 21.

(2) سورة الممتحنة، الآية 4.



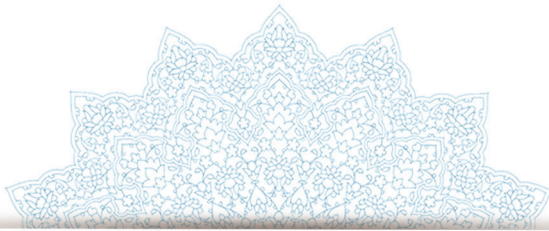
أو ينهر بزخرفها، ومن يتعلّق قلبه بالله -عزّ وجلّ- ويمتلئ بحبّه، لن يجد الشيطان منفذاً إليه، فهو في حصن حصين من سهامه.

فالمقاومة عطاء، والعطاء ثقافة وأخلاق وقيم تأسيسية لكلّ ما عداها. هذا هو الذي جعل المقاومين نماذج متميّزة عن غيرهم من أبناء مجتمعاتهم، في عبادتهم وفي أخلاقهم، وفي محبتهم للناس، وحرصهم على الوطن، وفي تواضعهم، وفي صدقهم ووفائهم.





## الفصل الثامن



### **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دراسة في الشكل والمضمون**





## تمهيد

قال -تعالى- في محكم كتابه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>.

وروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال في حديث له: «إِنَّ الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْهَاجُ الصَّالِحَاءِ، فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تَقَامُ الْفَرَائِضُ، وَتَأْمَنُ الْمَذَاهِبُ، وَتَحُلَّ الْمَكَاسِبُ، وَتَرَدُّ الْمِظَالِمُ، وَتُعْمَرُ الْأَرْضُ، وَيَنْتَصِفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَيَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ، فَأَنْكَرُوا بِقُلُوبِكُمْ، وَالْفُظُولَا بِالْسِّنَتِكُمْ، وَصَبَّغُوا بِهَا جِبَاهَهُمْ، وَلَا تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِمَ»<sup>(2)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: «... إِذَا أُدِّيتْ وَأُقِيمَتْ، اسْتَقَامَتِ الْفَرَائِضُ كُلُّهَا، هَيَّيْهَا وَصَعِبْهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ دَعَاءٌ إِلَى الْإِسْلَامِ، مَعَ رَدِّ الْمِظَالِمِ، وَمُخَالَفَةِ الظَّالِمِ، وَقِسْمَةٌ

(1) سورة التوبة، الآية 71.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 55.

الفِيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقّها»<sup>(1)</sup>.

لا شك في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ الواجبات والتكاليف الشرعيّة التي نصّ عليها القرآن الكريم، وأكّدها السنّة الشريفة، وحثّ عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام. هذه الفريضة المهمّة تعدّ ضماناً لحفظ الدين من الضياع، وصيانة المجتمع الإسلاميّ من الفساد والانحراف.

وقد جعلها الله - سبحانه وتعالى - على عاتق كلّ فرد من أفراد المجتمع الإسلاميّ بما يتناسب مع موقعه وقدرته، لتشكّل حالة من التكافل الاجتماعيّ في المجال التربويّ والأخلاقيّ، على غرار التكافل الاجتماعيّ في المجال الاقتصاديّ، الذي وضعت له الشريعة الإسلاميّة سلسلة من الأنظمة والقوانين والأحكام.

أمّا في العصر الحاضر، فإنّنا نجد أنّ وسائل التأثير الثقافيّ والتربويّ قد تطوّرت أيضاً بشكل مذهل، وذلك نتيجة للتطوّر الحضاريّ السريع الذي يشهده العالم أجمع، وقد ساعد ذلك في ازدياد قدرة زعماء الكفر وصانعي الفساد على بثّ سمومهم وأفكارهم المنحرفة، وتمكّنوا من إيصالها إلى كلّ بيت وكلّ زاوية، مستخدمين أكثر الوسائل الشيطانيّة إغراءً وإيحاءً.

مضافاً إلى أنّ السيطرة السياسيّة والاقتصاديّة تمهّد الأرضيّة الملائمة لنشر الفساد وزرع بذور التفكّك الخلقيّ، بحيث يمكن

(1) ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، مصدر سابق، ص 237.



أن يقال إنّ مهمّة الأنبياء والرسل والشرائع السماويّة المقدّسة تتعرّض اليوم لأعنى الحروب وأشرسها، وبوسائل وأسلحة حديثة وفنّاعة.

لذا، كان علينا -نحن المسلمين- أن نتحمّل مسؤوليّاتنا، وأن نفكّر في تطوير أدواتنا ووسائلنا، وشحذ أسلحتنا، وأن نعي خطورة الواقع، وحجم المسؤوليّة، وأن نستعدّ لخوض هذه الحرب بكامل القدرات والإمكانيّات، ونترك التواكل.

### الرقابة الذاتية والرقابة الاجتماعيّة

الشريعة الإسلاميّة الغزاء تهدف إلى كمال الإنسانيّة، وتنظيم شؤون البشر، وإصلاح أمرهم، ولها عناية خاصّة بإصلاح الفرد الذي يشكّل خلية من خلايا المجتمع الإسلاميّ عن طريق الرقابة الذاتية والمحاسبة النفسيّة، فتعتمد على قدرة الإنسان على التحكم في قواه الشهوانيّة وغرائزه وميوله الحيوانيّة، بما أوتي من عقل وقوّة مدركة، وعلى مجموعة الأحكام والتعاليم التي تُعنى بهذا الجانب الإصلاحيّ، والتي أطلق عليها اسم: جهاد النفس، والجهاد الأكبر.

كما أنّ للشريعة الإسلاميّة عناية أخرى بالإصلاح من خارج النفس، عن طريق الغير، أطلق عليها اسم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهي وظيفة الإنسان تجاه بني جنسه، وتجاه مجتمعه وأُمَّته. ويمكن أن يُقال إنّها وظيفة تُحمّل الفرد مسؤوليّة إصلاح

المجتمع ومراقبته، كما حملته مسؤوليّة إصلاح نفسه ومراقبتها في مرتبة سابقة.

يحكي لنا القرآن الكريم وصايا لقمان لابنه، ومن جملتها: ﴿يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(1)</sup>، فجعل الأمر بالمعروف بعد إقامة الصلاة؛ لأنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، يقول -تعالى-: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(2)</sup>.

فالصلاة باب من أبواب إصلاح النفس، أمّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو مسؤوليّة إصلاح المجتمع، وهذا الترتيب طبيعيّ جداً؛ النفس أولاً ثم الغير. ولا شكّ في أنّ السعي لإصلاح الغير قبل إصلاح النفس لن يترك أثراً إيجابياً؛ لأنّ فاقده الشيء لا يعطيه، وفاقد الصلاح والهداية ليس أهلاً لإصلاح غيره وهدايته.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۚ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

وقد أشار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى هذا الترتيب الطبيعيّ، حيث روي عنه أنّه قال: «وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمرُتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي...»<sup>(4)</sup>.

(1) سورة لقمان، الآية 17.

(2) سورة العنكبوت، الآية 45.

(3) سورة يونس، الآية 35.

(4) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 152.

## السلوك العملي ودوره في الأمر بالمعروف

على ضوء ما تقدّم كلّهُ، تظهر أهميّة الالتزام العمليّ بالمعروف، بل في كثير من الأحيان يكون الالتزام العمليّ نفسه كافياً في دعوة الآخرين إلى العمل بالمعروف وترك المنكر، فكيف به إذا اقترن بالقول! نعم، يمكن أن نوسّع دائرة مفهوم (الأمر) ومفهوم (النهي) ليتجاوز القوليّ منهما، فعلى الرغم من أنّ ظاهر الأمر والنهي كونهما بالقول، لكنّ ملاحظة الغرض من هذا التشريع والغاية المطلوبة تحقّق الالتزام بالمعروف والامتناع عن المنكر من قبل المأمور والمنهي، فترتفع خصوصيّة الأمر والنهي القوليّين، بل يتعدّى الملاك في الحكم إلى كلّ أسلوب من أساليب الترغيب في المعروف والزجر عن المنكر. وربّما كانت الممارسة العمليّة -أحياناً- من أفضل وسائل نشر المعروف، كما هي الحال بالنسبة إلى نشر المنكر والفساد.

للممارسة العمليّة -إذاً- دوران مهمّان؛ دور باعتبارها إحدى وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليهما، ودور باعتبارها أحد شروط التأثير في الغير. ومن الطبيعيّ جدّاً أن لا يجد الداعي إلى الخير وإلى المعروف أيّ نتائج فعليّة وعملية خلال نشاطه التبليغيّ والتربويّ، إذا كان شخصياً ممّن يتسامح عمليّاً بالتزاماته الدينيّة، ولا يدعم نظريّاته بالتطبيق، ولا يتقيّد بالتناهي عن المنكرات. ولعلّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد الإشارة إلى هذا الأمر في خطبته التي يقول فيها: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي -وَاللَّهِ- مَا أَحْتُكُم عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَتَهَاكُم عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا»<sup>(1)</sup>.

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص250.

وهذه نقطة جديدة بالاهتمام والوقوف عندها، وخاصّة في ما يتعلّق بمؤسّساتنا وجمعياتنا وكوادرنا المتصدّية للدعوة، والتبليغ، والإصلاح، وقيادة المجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن الضروريّ جدّاً التأكيد على عناصر هذه الأجهزة بأن يتقيّدوا -بدقّة- بالأحكام الشرعيّة، والقوانين الموضوعة من قبل ولاة الأمر، ليكونوا مثلاً يُقتدى به من جهة، ولتصدّق أعمالهم أقوالهم فيما لو طلبوا من الآخرين التقيّد بها، ودعّوهم إليها.

في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ... يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي»<sup>(1)</sup>.

وقال عليه السلام: «لَعَنَ اللَّهُ الْأَمِيرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يؤكّد فيها على الأسلوب العمليّ، ويخاطب فيها شيعته، فيقول: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاح والخير، فإنّ ذلك داعية»<sup>(3)</sup>.

والمقصود من قوله: بغير ألسنتكم؛ أي بجوارحكم وأعمالكم. وقريب من هذا المعنى قوله عليه السلام: «رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم...»<sup>(4)</sup>.

(1) الشريف الرضيّ، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 498.

(2) المصدر نفسه، ص 188.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 78.

(4) ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام، مصدر سابق، ص 38.



وهذا تبرز أهميّة الأساليب التربويّة وخطورتها، فإنّها -في الغالب- تعتمد المؤثّرات غير المباشرة، ومن أهمّ تلك المؤثّرات الصفات الشخصية للمعلّم، وما تلعبه من دور في السيطرة على مشاعر الأطفال، خاصّة في المراحل الأولى التي هي أفضل المراحل لبذر الصلاح وزرع الفضائل، حيث تكون نفسه كالصفحة البيضاء، يسهل أن يكتب فيها، وأن يُنقش عليها أيّ شيء، ويدلّ على ذلك قول أمير المؤمنين في وصيّته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «وإنّما قلبُ الحَدِثِ كالأرضِ الخالية، ما ألقيَ فيها من شيءٍ قبلته»<sup>(1)</sup>.

فلا شكّ في أنّ تقديم النموذج الحيّ الذي يجسّد المبادئ والمعروف، وتقديم القدوة الصالحة، من أهمّ وسائل التأثير، وللشريعة الإسلامية عناية خاصّة بهذه النقطة، وهذا هو السرّ في اهتمام الرسول ﷺ ببناء رابطة المودّة والمحبة بين الأمّة والأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين هم قادة وقدوة.

ويرى علماء التربية أنّ علاقة المحبة التي تربط الأطفال بالمرتبّة تجعلهم يقلّدونها تقليداً دقيقاً دون التأمّل بمعنى الفعل الذي يكتسبونه، بل كثيراً ما يبقى ذلك التأثير إلى سنّ متقدّمة.

ولعلّ كثيراً من العقائد الفاسدة والعادات التي لا معنى لها انتشرت عن طريق الشخصيات ذات التأثير والإيحاء. وفي عصرنا الحاضر تستخدم دور الأزياء وأصحاب صالات العرض النجوم المحبوبة عند الناس لترويج منتجاتهم وابتكاراتهم التي قد لا تمتلك في واقع الأمر ما يميّزها عن غيرها، فيدفعون المبالغ الطائلة

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 393.

للمشاهير ليرتدوا تصاميمهم في الأزياء، أو يركبوا عرباتهم، أو يظهروا إلى جانبها؛ إذ إن ذلك يؤثر تأثيراً ساحراً في بسطاء الناس، ويجعلهم يرغبون في تلك البضائع لمجرد الرغبة في تقليد تلك الشخصيات وأولئك المشاهير، على مستوى الشكل والهندام، وعلى مستوى السلوك والممارسة.

### ساحة الأمر بالمعروف

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ساحتان، تتطلب كلّ منهما من الأدوات والأساليب والمخططات ما يغير الأخرى:

**الساحة الأولى:** داخلية، ونعني بها ساحة المجتمع الإسلامي، المجتمع الذي يغلب عليه الالتزام بالدين عقيدة وشريعة. والتركيز هنا يكون على حفظ المجتمع من الانحراف، وتحصينه ضدّ المفسدات الخلقية والاجتماعية، وتعميق ثقافته ووعيه بما يكفل استمرار المسيرة وتحقيق أهداف الشريعة.

وقد يكون ترك المعروف وارتكاب المنكر حالتين فرديتين، فيعمل على إصلاحهما، وأخرى يكونان حالة جماعية منظّمة، فتتطلب مواجهة منظّمة أيضاً، وقدرات مجتمعة وقيادة، فلا يمنع ذلك من اعتماد القوة في معالجة الانحرافات الجماعية. وسيأتي أنّ من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: التغيير باليد، وغيره من الأساليب التي تعتمد القوة. نعم، هذا النوع له شروط وأحكام خاصة تغاير النوع الأول، وسيأتي الحديث عنه تفصيلاً، إن شاء الله.



**الساحة الثانية:** خارجية، ونعني بها المجتمعات غير المسلمة، التي لها على عاتق المسلمين الرساليين حق التبليغ والدعوة إلى الدين، وتعريفها شريعة الإسلام ومعارفه ونظامه، بما يتيح لها فرصة الاستنارة بنوره، والاهتداء بهديه، والدخول تحت ظلّه.

## الإرشاد والتبليغ

ربّما خصّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الساحة الثانية المذكورة باسم: التبليغ أو الدعوة أو الإرشاد، وهذا يُبنى على أساس أنّ ذلك منحصر في تعريفهم بالدين؛ باعتبار أنّ الأمر بالمعروف يتوقّف على أن يكون المأمور عارفاً بالمعروف والمنكر، وهو لا يعرف المعروف ولا المنكر نتيجة جهله بأحكام الدين؛ فلا بدّ أولاً من إرشاده إليه، فإذا عرفه ولم يتقيّد به صار مورداً للأمر بالمعروف. وهذا صحيح، بل ربّما يفرّق بين الإرشاد إلى المعروف وبين الأمر بالمعروف في المجتمع الإسلاميّ أيضاً، إلّا أنّ العمل في الساحة غير الإسلاميّة لا ينحصر بتعريفهم بالدين، فكثيراً ما يكون المعروف عند المسلمين معروفاً عند غيرهم، والمنكر كذلك؛ كالسرقة التي يستقبحها العقل فضلاً عن الشرائع، وكالكذب الذي يعتبره جميع البشر منكراً، وغير ذلك من الزنا، والقتل، والظلم، والجور، والإخلال بالعهود والعقود... إلخ. فالنهي عن مثل هذه المنكرات يدخل في إطار هذه الفريضة، ويمكن بذلك تعديتها إلى المجتمعات غير الإسلاميّة، مع قطع النظر عن دعوتهم إلى الإسلام وإرشادهم إلى تعاليمه القيمّة. وقد يستفاد من بعض الأخبار

انطباق عنوان الأمر بالمعروف على إرشاد الجاهل أيضاً، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّما يؤمر بالمعروف مؤمن فيتعظ، أو جاهل فيتعلّم، فأما صاحب سوط وسيف فلا»<sup>(1)</sup>.

### شرائط هذه الفريضة

ذكر الفقهاء شروط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يأتي:

1 - معرفة الأمر والنهي بالمعروف والمنكر، فلا يجب على الجاهل بهما. ولم يفرّقوا بين العلم الحاصل عن اجتهاد أو عن تقليد. روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عالم بما يأمر عالم بما ينهى، عادل فيما يأمر عادل فيما ينهى، رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى»<sup>(2)</sup>.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أواجبٌ هو على الأمة جميعاً؟ قال: لا، فقيل: ولم؟ قال: «إنّما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً إلى أيّ من أيّ، يقول من الحقّ إلى الباطل...»<sup>(3)</sup>.

(1) الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص 35.

(2) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، مصدر سابق، ج 1، ص 368.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 59.



2- احتمال التأثير، فمن علم أو اطمأن إلى أنّ أمره أو ونهيه لن يترك أثراً ولو بضميمة المؤثرات الأخرى لم يجب عليه ذلك. ولا ينحصر التأثير المطلوب بتحقيقه مباشرة، وبسبب أمره أو نهيه مستقلاً، بل يدخل فيه إذا كان مؤثراً بانضمام أمر الآخرين ونهيمهم، أو بتكرار ذلك، أو كان يؤثر بعد زمن؛ أمّا مع اليأس من التأثير، فلا يجب الأمر ولا النهي، ويشير إليه ما تقدّم عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «فأما صاحب سوط وسيف فلا». إذ إنّه كثيراً ما ينعلم احتمال التأثير مع أمثال هؤلاء؛ لأنّ صاحب السلطة مغرور إلّا من التزم الحقّ واتّبعه.

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الرسول ﷺ: «إنّ أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر»، ما معناه؟ قال: «هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه، وإلّا فلا»<sup>(1)</sup>.

3- أن يكون العاصي مصرّاً على الاستمرار، فلو علّم منه الترك سقط الوجوب؛ باعتبار أنّ الغرض من النهي عن المنكر تحقّق الترك، وقد حصل، فيكون فعله تحصيلاً للحاصل ولغواً، وربّما أثر سلباً، فكان تركه أولى، وكذلك في جانب فعل المعروف.

4- أن لا يكون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أهمّ من فوت المعروف أو مفسدة المنكر، فبحسب قاعدة التزاحم تسقط فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمفسدة الأهمّ تارة تكون على الأمر الناهي، كما لو كان ذلك يؤدّي إلى توجّه ضرر معتدّ به على نفسه أو عرضه أو ماله المعتدّ به، وتارة تكون على غيره، كما لو انعكس الأمر بالضرر على قومه

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 60.

وأصحابه وأتباعه، أو على مذهبه ودينه، فعند ذلك يسقط  
الوجوب، بل ربّما حرم.

وهذا إنّما يتصوّر في الموارد التي يكون فيها المعروف والمنكر  
دون المفسدة في أهميّة، كما وضّحنا؛ أمّا الموارد التي يُعلّم اهتمام  
الشرعية المقدّسة بها؛ كحفظ النفوس المحترمة ونواميسهم،  
وحفظ آثار الإسلام وشعائره الكبرى، وأمثال ذلك ممّا يَرُخص في  
مقابله الغالي ويهون النفيس حتّى لو كان مالاّ أو نفساً، فلا بدّ من  
البذل والتضحية في سبيل ذلك.

ومن الموارد المهمّة في نظر الشريعة المقدّسة ظهور البدع  
المؤدّية إلى هتك الإسلام وزعزعة عقائد المسلمين، فلا يجوز في  
مثل هذه الموارد سكوت أهل العلم والزعامة المذهبيّة، بل يتعيّن  
عليهم التصدّي لإظهار الحقّ وفضح البدع، حتّى لو علّم عدم التأثير  
على أهل تلك البدع؛ لأنّ المقصود الحيلولة دون انخداع العوامّ  
وضعفة العقول بها، إذا لم يمكن محوها وإزالتها.

## دائرة الأمر والنهي بين الحاكم والأمة

روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهّنّ  
عن المنكر، أو ليعمّكم الله بعذاب، ثمّ قال: من رأى منكراً  
فليُنكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم  
يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنّه لذلك كاره»<sup>(1)</sup>.

(1) المجلسي، العلامة محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار، تحقيق: السيّد إبراهيم  
الميانجي؛ محمّد الباقر الهبدي، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403 هـ -  
1983 م، ط2، ج97، ص85.

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «أُمِّيَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَاناً يَعْْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَراً يَدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّى، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ، لِيَتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ»<sup>(1)</sup>.

وانطلاقاً من هذه النصوص، قسّم الفقهاء مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ثلاثة، يُنتقل إلى المرتبة اللاحقة عند العجز عن المرتبة السابقة، وكلّ مرتبة من المراتب الثلاثة لها مراتب من حيث الشدّة والضعف، بما يتناسب مع الموضوع. وهذا الترتيب طبعيّ جدّاً، بعد أن فرضنا أنّ كلّ فرد في المجتمع مسؤول عن صلاح المجتمع الإسلاميّ وسلامته، وبعد أن فرضنا أن التكليف الشرعيّة منوطة بالقدرة، وأنها تسقط بالعجز.

إلا أنّ بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى تنظيم وإدارة وإشراف من قبل المتولّي لشؤون المسلمين؛ لأنّ إطلاقها وترك أمرها للمسلمين عامّة يؤدّيان إلى الوقوع في مفسد كبرى أشدّ خطراً على المجتمع من خطر المنكر وترك المعروف.

قال الشيخ المفيد: «الإنكار باليد بالقتل والجراح لا يكون إلاّ بإذن السلطان المنصوب لتدبير الأنام، فإن فقد الإذن في ذلك لم يكن له إلاّ بما يقع بالقلب واللّسان وباليد، ما لم يؤدّ إلى سفك الدماء، وما تولّد من ذلك من إخافة المؤمنين على أنفسهم والفساد في الدين... أمّا إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب»<sup>(2)</sup>.

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 541.

(2) المفيد، الشيخ محمد بن محمّد، المقنعة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1410 هـ، ط 2، ص 810.

وقال الشيخ الطوسي: «إنكار المنكر يكون بالأنواع الثلاثة التي ذكرناها، فأما باليد، فهو أن يؤدّب فاعله بضرب من التأديب، إمّا الجراح أو الألم أو الضرب، غير أنّ ذلك مشروط بالإذن من جهة السلطان، حسب ما قدّمناه، فمتى فقد الإذن من جهته، اقتصر على الإنكار باللسان والقلب»<sup>(1)</sup>.

وقال الشيخ سائر الديلمي: «فأما القتل والجراح في الإنكار فالإذن السلطان أو من يأمره السلطان، فإن تعدّر الأمر لمانع، فقد فوّضوا إلى الفقهاء إقامة الحدود والأحكام بين الناس»<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا درج باقي الفقهاء حتّى زماننا هذا. يقول الإمام الخميني قدس سره: «لو لم يحصل المطلوب إلّا بالضرب والإيلام، فالظاهر جوازهما مراعيّاً للأيسر فالأيسر، والأسهل فالأسهل. وينبغي الاستيذان من الفقيه الجامع للشرائط، بل ينبغي ذلك في الحبس والتحريم ونحوهما.

ولو كان الإنكار موجباً للجرّ إلى الجرح أو القتل فلا يجوز إلّا بإذن الإمام عليه السلام على الأقوى، وقام في هذا الزمان الفقيه الجامع للشرائط مقامه مع حصول الشرائط»<sup>(3)</sup>.

(1) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، انتشارات قدس محمدي، إيران - قم، لا. ط، لا. ط، ص 300.

(2) الديلمي، الشيخ حمزة بن عبد العزيز، المراسم العلوية في الأحكام النبوية، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، 1414 هـ، لا. ط، ص 263.

(3) الخميني، الإمام السيد روح الله الموسوي، تحرير الوسيلة، دار الكتب العلمية، العراق - النجف، 1390 هـ، ط 2، ج 1، ص 481.

نعم، لا بدّ من استثناء المنكرات التي يُعلم أنّ الشارع المقدّس لا يرضى بوجودها مطلقاً؛ كقتل النفس المحترمة، والاعتداء على الأعراس، وما شابه ذلك. ففي هذه الموارد يمكن القول بعدم توقّف دفعها على إذن الإمام، ولو استوجب الجرح، بل القتل، فلو توقّف دفع القاتل على قتله، فإنّ الإقدام على ذلك لا يحتاج إلى إذن من الإمام ومَن يقوم مقامه.

وظاهر كلمات الفقهاء -أعلى الله مقاماتهم- أنّ التدرّج في المراتب من الإنكار بالقلب إلى اللسان ثمّ اليد، فينتقل إلى المرتبة العليا عند عدم تأثير المرتبة الدنيا. وظاهر بعض الأخبار أنّ الفريضة تبدأ بالمرتبة العليا ولا ينتقل إلى السفلى إلّا عند عدم القدرة، كما في الرواية عن رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(1)</sup>.

ويدلّ عليه ما تقدّم أيضاً عن الإمام عليّ عليه السلام في قصار حكم نهج البلاغة.

وعلى أيّ حال، فإنّ الفقهاء نظروا إلى مراتب التأثير، والروايات المشار إليها ناظرة إلى مراتب القدرة والاستطاعة، وهما أمران متغايران. نعم، ربّما يقال إنّ المرتبة السفلى إذا كانت فاقدة للتأثير، وكان المكلف عاجزاً عن المرتبة العليا، فتسقط الفريضة ويرتفع التكليف، وأمّا إذا كانت المرتبة السفلى مؤثّرة في رفع المنكر، فلا يحقّ للمكلف اللجوء إلى المرتبة العليا وإن كان قادراً عليها، وهذا

(1) ابن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج3، ص49.

الأخير هو الفرض الذي التزم به الفقهاء، وعليه فلا يبقى للروايات الأخيرة مورد يُعمل به.

والذي تقتضيه مناسبات الحكم والموضوع، أنّ الغرض المطلوب للشارع المقدّس هو تغيير المنكر ونشر المعروف بين الناس، فلا بدّ من ملاحظة الوسائل المحقّقة لذلك، ولا شكّ في أنّ كثيراً من الوسائل تتضمّن تعدياً على حرّية الآخرين، فلا بدّ من الاقتصار على الحدّ الأدنى الذي يفي بالمطلوب؛ إذ إنّ الزائد يكون تجاوزاً للحدود التي وضعها الشارع المقدّس دون مبرّر.

ومن هنا، فإنّ التقسيم الذي ذكره الفقهاء قد يحتاج إلى تفصيل في بعض الحالات، وإن كان صحيحاً في الجملة؛ لأنّ إنكار المنكر يعتمد على الأسلوب الأنسب. وبعض الأساليب التي تدخل تحت الإنكار بالقلب -بحسب تقسيمهم- يكون أشدّ إيذاءً من الأساليب التي تدخل تحت الإنكار باللسان، فإنّ المقاطعة والمقابلة بالوجوه المكفّرة عند بعض شرائع المجتمع أشدّ تأثيراً وقسوةً من النصيحة الكلاميّة؛ وعلى هذا، فلا بدّ لنا من دراسة فنّ التأثير، ومعرفة العوامل النفسيّة والتربويّة المؤثّرة في كلّ شريحة من شرائع المجتمع. ولا يمكن أن نسوق الناس جميعاً بعضاً واحدة، ونطبّق عليهم نظاماً واحداً في هذا المورد. ولعلّ الشريعة الإسلاميّة الغراء قد راعت هذه النقطة في قانون العقوبات، فضلاً عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي لم يُحدّد لها أسلوب خاصّ. فنحن نجد أنّ التعزيرات تُركت إلى

نظر القضاة، ليختار القاضي ما يراه مناسباً في ردع المتجاوزين للحدود الشرعية كلّ بحسبه؛ فإنّ الغرض منها التأديب، وقد يحصل بسوط واحد، وقد لا يتحقّق إلّا بخمسين، وربّما اكتفى بعضٌ بالكلمة فلا حاجة إلى السوط.

فأساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطبيعتها لا تركز على ثوابت، وإنّما على قواعد كلّية عبّرت عنها الروايات باليد واللسان والقلب. وسيأتي مزيد بيان لهذه الأمور.

والخلاصة: إنّّه لا بدّ من التأكيد على أنّ لكلّ مسلم في المجتمع الإسلاميّ دوراً مهمّاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحسب الموقع الذي يشغله، والأدوات التي يمتلكها. ولا يمكن لأحد أن يدّعي خروجه عن تلك الدائرة، وأنّه لا يتمكّن من أداء دور ما. طبعاً، لا نريد هنا أن نوكل إلى عوامّ الناس ومستضعفيهم مهمّات تتجاوز حدود إمكاناتهم، وإنّما نريد أن نقول إنّ كلّ فرد، وإن كان من عوامّ الناس، يمتلك قدرة، ويمتلك مؤهّلات محدودة تمكّنه من المشاركة في هذه المسؤولية، وتقديم خدمة ما تشكّل خطوة في هذا السبيل، ويمتلك يداً إذا ضُمَّت إلى غيرها من الأيدي تكوّنت قوّة هائلة يمكنها صيانة المجتمع ومقاومة الفساد والانحراف.

ليس لأحد أن يدّعي أنّ ذلك مسؤولية أجهزة الدولة الإسلامية فحسب، وإن كان لتلك الأجهزة الحظّ الأوفى، إلّا أنّ الناس عامّة يشكّلون سدّاً منيعاً أمام المعاصي والانحرافات، ويشكّلون دعامة قويّة للمسؤولين والقضاة إذا وعوا دورهم ومسؤوليتهم.

## الأجهزة الرئيسية المؤثرة في هذه الفريضة

- 1 - جهاز التربية والتعليم، الذي يمارس أقدس مهمة، وهي تربية الأجيال الصاعدة، وزرع الصلاح والخير في نفوسهم، وتنشئتهم على التمسك بالإسلام؛ نظرياً وعملياً بشكلٍ واعٍ.
  - 2 - جهاز القضاء، الذي يؤدي وظيفة حفظ الحقوق العامة والخاصة، وفضّ النزاعات، والحيلولة دون التجاوزات، وإصدار الأحكام ضدّ المجرمين والمفسدين والمعتدين.
  - 3 - جهاز الأمن الداخلي، الذي يؤدي دور الحراسة وتنفيذ مهمّات جهاز القضاء وأحكامه، ولوجوده أكبر الأثر في منع التجاوزات وحفظ النظام.
  - 4 - جهاز التشريع وسنّ القوانين والأنظمة التي تتكفل الحدّ من الفرص المتاحة أمام المجرمين والمفسدين لممارسة نشاطاتهم.
  - 5 - أجهزة الإعلام المختلفة، التي يمكنها أن تقوم بدور حسّاس في هذا المجال عن طريق بثّ الوعي، وزرع الفضيلة في وجدان الناس عامة، مستخدمة الأساليب الفنية والإعلاميّة المتطوّرة والمؤثّرة.
  - 6 - كلّ ما يمكن للدولة أن تستحدثه من أجهزة ومؤسسات مؤثّرة في هذا المجال، وربّما كان من الضروريّ تشكيل مؤسسة تتبني دراسة الوسائل، ووضع الخطط المناسبة لتنفيذ هذه الوظيفة بشكل فعّال ومؤثّر.
- هذا كلّه في الدولة التي تعتمد النظام الإسلاميّ، وتقيم أجهزتها على أساسه، بحيث يمكن لهذه الأجهزة والمؤسسات أن تؤدّي



دورها المطلوب في هذا المجال، أمّا الدولة العلمانيّة فهي خارجة عن إطار ما ذكر في هذا المقطع.

ولا بدّ من استقلاليّة مؤسّسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعمل تحت ظلّها. ومن مهمّات هذه المؤسّسة:

أولاً: رسم المنهجيّة، وتحديد الدائرة التي يمكن لأفراد المجتمع أن يؤدّوا فيها دورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باعتبار أنّهم معنيّون بهذا التكليف. والعديد من النصوص الشرعيّة تخاطب الأمّة مباشرة، وهذا يعني أنّهم مكلفون بالقيام بهذه المهمّة ما لم يرد دليل آخر يخصّص الحاكم ببعض الموارد أو يشترط إذنه. وفي هذه الموارد أيضاً هم معنيّون بالرقابة من جهة، والدعم والتأييد من جهة أخرى. فالمجتمع بجميع أفرادهِ يشكّل ناظراً يراقب تنفيذ الحكم الإسلاميّ بدقّة، وناصراً عندما يحتاج الحاكم إلى دعمه وتأييده وتقوية مواقفه، وبالتالي تمكينه من بسط يده وإعمال سلطته؛ إذ إنّ سلطان الحاكم وأدواته الفاعلة وقواه الضاربة هم عامّة الناس. نعم، الناس يحتاجون إلى توجيه وتثقيف وتوعية وتحديد الأدوار بدقّة، وهي مهمّة العلماء الأعلام وولاة الأمر.

ثانياً: تطوير أجهزة خاصّة وشبكة واسعة من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ينتشرون في الأماكن العامّة والمؤسّسات والدوائر الحكوميّة والمساجد والحسينيّات، ويقومون بدور مباشر وفعال في هذا المجال، وهذا الأمر يترك أثراً إيجابياً على نفسيّة الناس عامّة، ويشجّعهم لأداء دورهم بشكل أفضل. ويمكن الاستفادة في هذا المجال من كبار السنّ والمتقاعدين المتطوّعين وغير

المتطوعين، بعد إخضاعهم لدورات معيّنة قصيرة الأمد، تزودهم  
بالأساليب المؤثرة الناجحة في إصلاح المجتمع ومنع المنكرات.

ثالثاً: يمكن لهذه المؤسسة الاستفادة من المتخصصين  
والخبراء، وتزويد وسائل الإعلام بالبرامج الخاصة المعدة من قبلها،  
أو الإشراف على البرامج التي تعدّها تلك الوسائل.

رابعاً: من الضروريّ التركيز على الوسائل العمليّة التي تزرع في  
عوامّ الناس، وفي الجيل الناشئ حبّ الخير والصّلاح، والنفور من  
المفاسد الاجتماعيّة والأخلاقيّة.

## اليَد واللسان والقلب

المراد من الإنكار أو التغيير باليد هو إعمال القدرة والفعل في  
منع المنكر، أو الحيلولة دون حصوله، وهذا يقع في دائرة واسعة  
تمتدّ حتّى القتل، ولا تنحصر بالضرب والجرح والقتل، وإنّما هذه  
بعض أمثلتها. وفي العصر الحاضر، تضاعفت الأدوات والوسائل  
التي يمكن توظيفها في إنكار المنكر، والتي يمكن أن يقع الكثير منها  
تحت عنوان الإنكار باليد، ولا شكّ في أنّ حصرها بحدود ضيقة  
يحدّ من فعاليّة هذه الفريضة المهمّة.

وكذلك مرتبة اللسان التي تشمل الوعظ والإرشاد، وهو بلا شكّ  
فنّ قائم بنفسه، فليس كلّ وعظ يؤثّر، فربّما فعلت الكلمة الصادرة  
عن شخص معيّن ما لا تفعله المحاضرات المطوّلة والخطب الرنّانة؛  
وبناءً عليه، فإنّ القدرة والاستطاعة التي يُحدّد على أساسها الانتقال

من مرتبة إلى مرتبة تدخل فيها خصوصيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفسه، فضلاً عن خصوصيات المأمور.

والخلاصة، إنّ هذه الفريضة أشبه بمهمة الطبيب، فهذا يعالج فساد الأبدان، وذلك يعالج فساد الأخلاق والأنفس والمجتمع. وعلى كلّ منهما أن يعرف الداء والدواء.

يروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كان المسيح يقول: ... وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب المداوي إن رأى موضعاً لدوائه، وإلا أمسك»<sup>(1)</sup>.

وأما الإنكار بالقلب، فيبدو لأوّل وهلة أنّه عبارة عن عدم الرضى، إلا أنّ الظاهر من الروايات أنّه يحتاج إلى إظهار، ويتحقّق إظهاره بأساليب عدّة، وربّما كانت له مراتب أيضاً، فإظهار الإنكار مرتبةً عليا بالنسبة إلى الإنكار بالقلب دون إظهار، فلعلّ بعض المواقف يوجب عجز المكلف عن إظهار الإنكار بأيّ صورة كانت؛ كبعض حالات التقيّة والخوف على النفس، فعندئذٍ لا شكّ في أنّ الحدّ الأدنى يكون بالافتقار على إضمار الإنكار وعدم الرضى.

وقد تعرّضت بعض النصوص إلى بعض أنحاء الإنكار القلبيّ، منها:

ما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «أدنى الإنكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفّهرة»<sup>(2)</sup>.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 8، ص 345.

(2) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، مصدر سابق، ج 6، ص 177.

ما ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره»<sup>(1)</sup>.

وفي حديث عنه عليه السلام -أيضاً- في قوله -تعالى-: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، قال: «أما إنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم، ولا يجلسون مجالسهم، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم»<sup>(2)</sup>.

## الحرية والنهي عن المنكر

أما في عصرنا الحاضر، ونتيجة لتطور وسائل الاتصال بين مختلف شعوب العالم، فقد تألق نجم الديمقراطية كنظام للحكم، ونودي بالحرّيات الفردية على مستوى واسع، وكان رائد ذلك دول الغرب التي غرقت في حضارتها المادية، حتّى نسيت القيم المعنوية والأخلاقية، وقد أدّى ذلك إلى استفحال المفساد الاجتماعيّة، حتّى بات يستعصي حلّها على مهندسي السياسة هناك وعلماء الاجتماع.

ومن المؤسف أن ينخدع بعض الشباب والمثقفين بالبريق الكاذب للعديد من المفاهيم التي سادت مجتمعات الغرب، ومنها الحرّية والديمقراطية. وأحدث هذا عندهم حالة من الاضطراب والتخبّط في قراءتهم للإسلام، فعمد فريق منهم إلى دبلجة الإسلام ليصبح ديمقراطياً تارّةً واشتراكياً أخرى، وعمد فريق آخر إلى التخلّي

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 374.

(2) العياشي، تفسير العياشي، مصدر سابق، ج 1، ص 335.



عن تفاصيل الشريعة، وتنكّر للنصوص والمصادر المعتمدة في استنباط الأحكام، ورضي من الإسلام بما لا يتعارض مع تلك الثوابت التي سلّم بها مدّعياً أنّه يتمسك بروح الإسلام.

هؤلاء المتأثرون بهذه النزعات، يستنكرون الكثير من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ إنهم يتخيّلون أنّ الحرّيات الفردية تقتضي أن يمارس كلّ فرد الأعمال التي تعجبه ما دامت لا تنال من الآخرين ولا تصل إلهم بسوء، فهم يرون أنّ التعرض للمرأة التي يعجبها الخروج من دون حجاب شرعيّ ومنعها من ذلك؛ تجاوزاً على حرّيتها، فأَيّ ضرر على الآخرين في ذلك! وكذلك بالنسبة إلى المنكرات الأخرى.

ونحن هنا لا نريد الخوض في الأساس الذي بنوا عليه نظرتهم إلى الأمور، وإنّما نريد إلقاء الضوء على الحرّيات المزعومة، ومدى تعارضها مع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ما يتوهّم في المجتمعات الغربية أنّه من الحرّيات الفردية، وأنّه لا يرتبط بالآخرين، نحن لا ننظر إليه بالمنظار الضيق الذي يفهمون الأمور من خلاله، وإنّما ندرسه من خلال انعكاسه على المجتمع الذي يعيش فيه الفرد؛ ففي المجتمع الذي نعيش فيه هناك أجواء عامّة تميّز هذا المجتمع وتجعل منه مجتمعاً إسلامياً، هذه المميّزات يشترك في بنائها وصناعتها كلّ فرد من أفراد المجتمع، فهو أشبه بالبناء المشيّد من أحجار، كلّ فرد يشكّل حجراً من هذه الأحجار، وبمقدار انسجامها واتساقها وتماسكها يستقيم البناء ويتحقّق له الشكل النهائي.

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرّعت لتحقيق هذا النظام الاجتماعيّ، والبناء المنسجم المتماسك للمجتمع الإسلاميّ. وليس هناك حالة من الفساد ونوع من الانحراف لا ينعكسان سلباً على المجتمع ككلّ، خاصّة إذا كان الانحراف والفساد علناً وجهاً.

ورد عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ المعصية إذا عمل بها العبد سرّاً لم تضرّ إلّا عاملها، فإذا عمل بها علانية ولم يُعَيَّر عليه أضرّت بالعامّة»<sup>(1)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وذلك أنّه يذلّ بعمله دين الله، ويقتدي به أهل عداوة الله»<sup>(2)</sup>.

وقد أطلق عليه المعصية، فهي تشمل كلّ معصية صغيرة كانت أو كبيرة، ويعني ذلك أنّ المعصية مهما كانت فهي تنعكس على المجتمع الإسلاميّ إذا ارتُكبت علناً، وهذا يعطي لكلّ فرد من أفراد المجتمع الحقّ في التصديّ لمنعها، لكونها تجاوزاً عليه؛ إذ إنّ التجاوز على المجتمع تجاوز على أفرادهم كلّهم. ومن الطبيعيّ أنّ الحرّيّات الفرديّة - حتّى في المجتمعات الغربيّة غير المتديّنة - لا تقرّ الحرّيّات التي توجب التجاوز على حقوق الغير.

هذا فضلاً عن كون المنع من ارتكاب المعاصي يعود نفعه على الشخص الممنوع نفسه؛ لأنّ المسلم يدرك تبعات هذه المعصية

(1) الحميريّ القميّ، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1413هـ، ط1، ص55.

(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، ثواب الأعمال، تقديم: السيّد محمّد مهديّ السيّد حسن الخرخسان، منشورات الشريف الرضيّ، إيران - قم، 1368هـ، ط2، ص261.

وأثارها الدنيويّة والأخرويّة، وبالتالي تكون الحيلولة بينه وبين ارتكاب المعصية والمنكر إنقاذاً له من الانزلاق في هاوية سحيقة، ومن الابتلاء بما يعود عليه بالضرر الذي لا يدرك بعده ولا مداه.

ومن العجيب أن يعدّ الطبيب الذي يقهر المريض ويكرهه على قبول العلاج، ويمنعه من تناول ما يضرّ ببدنه، يُعدّ مخلصاً حريصاً على مصالح الآخرين، ولا يُعتبر متجاوزاً لحدوده، بينما يُعدّ الناصح الأمين الذي يُكره الناس على الالتزام بالمعروف والامتناع عن المنكر متجاوزاً، مع أنّ هذا أحرص من ذاك وأشدّ رحمة به من نفسه!

وإذا كان الإسلام ينفي الإكراه في الدين، فذلك في أصل العقيدة وفي التكاليف التي لا تتأتّى إلّا مع القصد والنيّة، وأمّا التكاليف التي يخلّ تركها بالنظام الاجتماعيّ الإسلاميّ، فإنّه لا يترك الحرّيّة للفرد الذي يعيش في مجتمع المسلمين بتركها.

ومن هنا، نجد أنّ الإسلام يفرض على أهل الكتاب الذين يعيشون في ظلّ المجتمع الإسلاميّ أن يمتنعوا عن ممارسة العديد من الأعمال التي لا يرضيها الإسلام، وإن كانت مباحة بحسب اعتقادهم؛ كالظاهر بشرب الخمر وبيعه، وممارسة الزنى خاصّة بالمسلمة، حتّى إنّه يُقتل لو ثبت عليه ذلك، بل يُقتل بمجرد التعرّض لأعراض المسلمين، وكذلك فيما يتعلّق بفتنة المسلمين عن دينهم، فلا يترك لهم حرّيّة الدعاية الدينيّة، إلى ما هنالك من أحكام تخصّهم.

وليس تشريع الحدود والتعزيرات الإسلامية إلا لأجل صيانة المجتمع الإسلامي من المفسد والانحرافات الخطيرة، فالحدّ رادعٌ إكراهي لمن يحلو له تجاوز الأحكام والأنظمة الشرعية، وهو يؤدي هدفين: الأول على صعيد المجرم نفسه، والآخر على صعيد الآخرين الذين يكفي لردعهم خوفهم من الوقوع تحت وطأة الحدّ.

ولا شكّ في أنّ ارتكاب المعصية علناً يترك أثراً أكبر في تحريك أفراد المجتمع نحو الانحراف من ارتكابها سراً، وقد فرقت النصوص الشرعية بين الحالتين، كما تقدّم في الرواية عن النبي ﷺ.

يتّضح من هذه الجولة، أنّ الحرية الفردية تنتهي عندما يكون هناك تجاوز على حقوق الآخرين، وعلى حقوق المجتمع ككلّ، وأنّ الكثير من المعاصي والممارسات المحرّمة في الشريعة الإسلامية إذا ارتكبت علناً أضرتّ بالنظام وبالمجتمع، فتشكّل مورداً من موارد التجاوز على حقوق الآخرين، وعليه فهي خارجة عن دائرة الحرّيات الفردية.

والعجيب أنّ المجتمعات الغربية التي تُعدّ نفسها الرائدة في الديمقراطية والحفاظ على حقوق البشر والحرّيات الفردية، ترى من حقوق الفرد أن يقيم دعوى على من يلبس السواد مثلاً محتجاً بأنّ ابنه الصغير يخاف من منظره، ويطالب بمنعه من ذلك، أو على امرأة تلبس الحجاب؛ باعتبار أنّ شكلها يثير اشمئزازه، فتُحرّم من الدخول إلى قاعات الدرس، بينما يعتبرون الإنسان حرّاً في كتابة أقدر عبارات الفحش والسباب والشتائم التي تثير مشاعر مئات الملايين من المسلمين، ويدافعون أشدّ الدفاع عنه، تحت عنوان





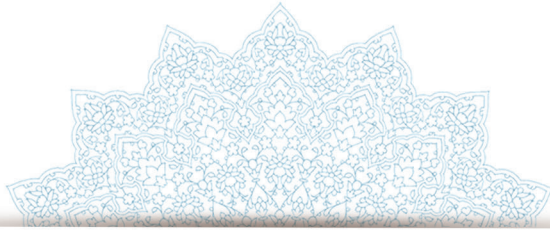
حرية الرأي والقلم، كما حصل بالنسبة إلى المرتدّ سلمان رشديّ.

إنّهم تجيش عواطفهم ويزدرفون دموع التماسيح على مجرمين عاثوا في الأرض فساداً إذا أُقيم عليهم حدّ، أو أُدعوا السجن ليرتاح الناس من شرّهم، ويجرّمون من ضرب كلباً أو وصفه بعبارة مهينة تأذّت منها سيّدة ذلك الكلب فطالبت بالثأر له.

هذه نماذج مختصرة، وهناك ما لا يُحصى من الأمثلة التي تمتلئ بها صفحات المجلّات والجرائد كلّ يوم عن الحرية الكاذبة والحقوق الممسوخة للبشر في المجتمعات الغربيّة.



الفصل التاسع



التبليغ الإسلامي العناصر والعقبات





## تمهيد<sup>(1)</sup>

قال -تعالى- في محكم كتابه المجيد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(2)</sup>.

قال السيّد الطباطبائي قدس سرّه: «المنافع نوعان: منافع دنيويّة، وهي التي تتقدّم بها حياة الإنسان الاجتماعيّة، ويصفوها بها العيش، وتُرفع بها الحوائج المتنوّعة، وتكمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة، والسياسة، والولاية، والتدبير، وأقسام الرسوم، والآداب، والسنن، والعادات، ومختلف التعاونات، والتعاضدات الاجتماعيّة وغيرها...

ومنافع أخرويّة، وهي وجوه التقرب إلى الله -تعالى- بما يمثل عبوديّة الإنسان من قول وفعل، وعمل الحجّ بما له من المناسك يتضمّن أنواع العبادات من التوجّه إلى الله، وترك لذائد الحياة وشواغل العيش، والسعي إليه بتحمّل المشاقّ، والطواف حول بيته، والصلاة، والتضحية، والإنفاق، والصيام وغير ذلك.

(1) مقالة أُعدّت لندوة نظّمها المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام في مكة المكرمة في موسم الحجّ عام 1415 هـ.ق.

(2) سورة الحديد، الآية 25.



وقد تقدّم أنّ عمل الحجّ بما له من الأركان والأجزاء يمثّل دورة كاملة ممّا جرى على إبراهيم عليه السلام في مسيره في مراحل التوحيد، ونفي الشرك، وإخلاص العبوديّة لله - سبحانه<sup>(1)</sup>.

ولعلّ اللقاءات والندوات التي تُعقد في هذا الموسم العظيم للتعرف على أوضاع المسلمين في مختلف الأقطار والأمصار، ودراسة الوسائل والسبل المؤدّية إلى حلّ مشكلاتهم ومعالجة ابتلاءاتهم، تُعدّ من أهمّ المنافع التي يمكن أن يشهدها حجاج بيت الله الحرام.

ونحن اليوم نعيش الصراع المرير مع أئمة الكفر المتحالفين في القضاء على إسلامنا وكياننا وعزّتنا واتّحادنا؛ ومن هنا تبرز أهميّة هذا الموسم، وهذا المؤتمر العظيم بشكل أكثر جلاءً وأشدّ وضوحاً.

فنحن أكثر احتياجاً من أيّ وقت مضى إلى اللقاء والتعاون والتكاتف والتكامل، ودراسة أوضاعنا في مختلف بقاع العالم، وتقويم إمكاناتنا الفعلية العظيمة، وبجاجة -أيضاً- قبل كلّ شيء إلى التخطيط العلميّ الدقيق لمختلف شؤوننا، ومن أهمّ تلك الشؤون قضية التبليغ والإعلام الإسلاميّ، التي تبرز أهمّيّتها في الوقت الحاضر نتيجة كثيرٍ من الملابسات والعوامل.

مركز  
الدراسات  
الإسلامية  
بجامعة  
المدرّسين  
بقم

(1) الطباطبائي، العلامة السيّد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1417هـ، ط5، ج14، ص369.

ولا يخفى وجه التناسب بين رحلة الحجّ العظيمة وبين هذه القضية بالذات، فالصلة وثيقة جداً، والهدف الذي يسعى إليه الحاجّ ليس بعيداً عما يهدف إليه موضوع هذه القضية، قضية التبليغ والإعلام الإسلاميّين.

روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «فرض الله...، والحجّ تقوية للدين»<sup>(1)</sup>. وهل تتحقّق قوّة الدين إلّا بنشره وتبليغ أحكامه ومعارفه، ودراسة سبل تطبيق أحكامه وتنفيذ حدوده، ليكون الدين كلّهُ لله!

إنّ دراسة شؤون التبليغ والإعلام الإسلاميّين على أسس علميّة متينة، ووضع المخطّطات العلميّة المتناسبة مع الواقع الذي نعيشه، والساحات التي نعمل فيها، لهما أهميّة كبرى في تقوية أعمدة الدين، وترسيخ قواعده، وإجراء أحكامه وحدوده.

لم يكن التبليغ ونشر المعارف الإسلاميّة من اختصاص فئة معيّنة وطبقة خاصّة من المسلمين في المرحلة الأولى لانتشار الإسلام، بل كان كلّ مسلم يرى نفسه مسؤولاً عن ذلك ومكلّفاً به، دون أن يمنعه ذلك عن مزاوله أعماله الأخرى التي يكسب من خلالها ما يفي بأمور معيشته. ولقد كان لهذه النقطة أهميّة كبرى في إيصال المعارف الإسلاميّة إلى نقاط قاصية، حيث قام بدور تبليغ كلمة الإسلام جماعة من التجّار والرحّالة الذين ركبوا الأسفار،

(1) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، لا. م، 1378 هـ - 1959 م، ط 1، ج 19، ص 86.

وخاضوا البحار، ونزلوا على الشواطئ النائية، فحملوا عقيدتهم إلى جانب أمتعتهم، وعرضوها على الناس، مظهرين محاسنها ومميزاتها، كما يظهرون محاسن بضائعهم، فلقيت رواجاً وأُعجِبَ بها الناس، فأقبلوا على اعتناقها.

وفي هذه المرحلة، كان الأمر يعتمد كلياً على المبادرة الفردية والانطلاقة العفوية، وعلى حسن تصرف الفرد المسلم وجاذبيته الخاصة. ولا شك في أن سلامة الفطرة لعبت دوراً حساساً في تقبل الفكرة وسرعة الإقبال عليها، كيف لا والإسلام دين الفطرة!

ثم في مراحل لاحقة برز في المجتمع الإسلامي نوع من أنواع التخصص، فانصرفت فئة خاصة من الناس لدراسة معارف الدين، وأتعبت نفسها في تحمّل الروايات والنصوص وحفظها وتدوينها، ووجدوا أنهم المسؤولون بالدرجة الأولى عن نشرها وتعليمها، وصار أمر التبليغ ونشر المعارف يقترب من حالة الاختصاص، ويصبح بعهدة هذه الفئة قبل غيرها.

وقد كانت المبادرات الفردية والخصائص الذاتية للعالم والمحدث هي التي تتحكم في إنجاح العمل التبليغي وفي قوة تأثيره في هذه المرحلة، ولا شك في أن هذه المرحلة كان قد رافقها تطوّر في أساليب التشكيك والتحريف، وظهرت الكثير من الشبهات والأفكار الهدامة التي كانت تجعل مهمة المبلّغ شاقة وأكثر تعقيداً.

فلم يكن بإمكان المبلّغ الاكتفاء بعرض الفكرة والاستدلال





عليها لتحصيل قناعة المخاطبين بها، وإنّما كان عليه أن يردّ السهام الموجهة، ويكشف الشبهات والمغالطات.

فكان لا بدّ من تطوير أسلوب العمل بما يتلاءم مع تلك المرحلة. وقد نبغ بالفعل من أجاد الاستفادة من ذكائه وعقله، ودقّة نظره في النصوص والروايات، فترك أثراً كبيراً لا يُنكر.

وفي عصرنا الحاضر، ونتيجة لكثير من العوامل والمؤثرات، بات العمل التبليغيّ بحاجة إلى تطوير نوعي، وبحاجة إلى تطوير على مستوى الأسلوب، وعلى مستوى المضمون.

### التبليغ في رؤية أئمة أهل البيت عليهم السلام

1- روي عن أبي الصّلت الهرويّ قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا، ويعلمّها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا»<sup>(1)</sup>.

وفي هذه الرواية حتّى على أخذ المعارف الإسلاميّة ونشرها، كما تشير الرواية إلى أنّ أمر أئمة أهل البيت عليهم السلام هو أمر الإسلام والمعارف الإسلاميّة؛ فحياة أمرهم انتشار معارفهم، وأنّ عدم اتّباع الناس لهم عليهم السلام ناشئ من الجهل بعلومهم ومعارفهم، فإنّهم لو علموا محاسن كلامهم لا تبعوهم، فهو عليه السلام يحتمل مسؤوليّة

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة، إيران - قم، 1379 هـ - 1338 هـ ش، لا. ط، ص 180.

إعراض الناس عن أهل البيت عليه السلام لأولئك الذين يقصّرون في إظهار محاسن كلامهم.

2- خطب رسول الله ﷺ يوم مئى فقال: «نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه...»<sup>(1)</sup>، وفي رواية أنّه قال: «فأدّاها كما سمعها»<sup>(2)</sup>.

3- عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «الرواية لحديثنا يبتّ في الناس، ويسدّده في قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»<sup>(3)</sup>.

4- عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب وبتّ علمك في إخوانك، فإن متّ فورّث كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج ما يأنسون فيه إلّا بكتيم»<sup>(4)</sup>.

5- وعن النبيّ ﷺ قال: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإنّ الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه»<sup>(5)</sup>.

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج 1، ص 403.

(2) ابن أبي جمهور الأحسائيّ، محمّد بن عليّ، عوالي اللئاليّ، تقديم: السيّد شهاب الدين النجفي المرعشيّ، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقيّ، لا. ن. لا. م، 1403 هـ - 1983 م، ط 1، ج 4، ص 66.

(3) الصّفّار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات، تصحيح: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، إيران - طهران، 1404 هـ - 1362 هـ ش، لا. ط، ص 27.

(4) ابن طاووس، السيّد عليّ بن موسى، كشف المحجّة لثمره المهيّجة، المطبعة الحيدريّة، العراق - النجف الأشرف، 1370 هـ - 1950 م، لا. ط، ص 35.

(5) البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاريّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا. م، 1401 هـ - 1981 م، لا. ط، ج 1، ص 24.

## التبليغ وظيفه الأنبياء ﷺ

قال -تعالى- في وصف أنبيائه ﷺ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾<sup>(1)</sup>.

وقد أمر - سبحانه - نبيه ﷺ بالقيام بهذه المهمة، فقال -تعالى-:

1. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(2)</sup>.
2. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾<sup>(3)</sup>.
3. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(4)</sup>.
4. ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾<sup>(5)</sup>.

## العناصر الضرورية

إذا أردنا أن يكون العمل التبليغي ناجحاً ومحققاً للغرض، فلا بد لنا من دراسة عناصر عدة، أهمها:

### 1 - العنصر العلمي:

وهذا يشمل الدراسات العلمية المختلفة التي لها مدخلية في رسم خريطة العمل التبليغي، التي تكشف لنا عن خصائص الساحة

(1) سورة الأحزاب، الآية 39.

(2) سورة النحل، الآية 125.

(3) سورة آل عمران، الآية 20؛ سورة الرعد، الآية 40؛ سورة النحل، الآية 82.

(4) سورة المائدة، الآية 67.

(5) سورة الشورى، الآية 15.

والمجتمع والأفراد الذين يشكّلون الموضوع، ويشكّلون الأرضيّة التي يُراد إصلاحها وإعمارها، وغرس بذور الإيمان فيها، أو تنمية تلك البذور فيه، لتورق وتؤتي ثمارها المطلوبة.

وأما العلوم التي تعالج هذه الدراسات وتتناولها، فهي:

أ- علم النفس، وهو يتولّى مهمّة الكشف عن طبائع النفوس وجوانب التأثير فيها؛ وهذه مقدّمة علميّة ضروريّة؛ لأنّ التبليغ يتناول معارف يُراد تحقيق حالة من الإيمان بها واطمئنان النفس إليها. ولا شكّ في أنّ معرفة خصوصيّات النفس ومسالكتها ومنعطفاتها يسهّل على المبلّغ مهمّة إيصال الفكرة إلى الوجدان، وزرعها في أعماق النفس، لكي تتوفّر شروط النموّ، ولتكون أقدر على مقاومة العواصف وعوامل التخريب الطارئة.

ب- علم الاجتماع، وهو يشكّل مقدّمة ثانية مهمّة في هذا المجال، حيث إنّ العوامل الاجتماعيّة تؤثّر تأثيراً مباشراً في إنجاح العمل التبليغيّ أو إفشاله، فلا بدّ من دراستها، لتكون المخطّطات العلميّة للتبليغ قائمة على أساس المؤثّرات الإيجابيّة، ومعالجة المؤثّرات السلبيّة.

ج- الدراسات الجغرافيّة ودراسة البيئة الخاصّة لكلّ منطقة بخصوصها، ممّا له تأثير سلبيّ أو إيجابيّ في العمل التبليغيّ.

د- دراسة الأديان والمعتقدات والعادات الاجتماعيّة؛ لأنّها تشكّل موانع أحياناً أو عوامل مساعدة لنشر أيّ فكر جديد في تلك المحيطات.

هـ- وثمة أمور أخرى لا بدّ من دراستها ميدانيّاً من باب المقدّمة

لوضع الخطط العملية للتبليغ الإسلامي؛ من قبيل الميول،  
والمؤثرات السياسية، والتركيبية الاجتماعية، والعوامل  
الاقتصادية وغير ذلك. ولا يُستغنى عن علم الإحصاء الذي  
يخدم الدراسات المتقدمة ميدانياً.

## 2 - العنصر الفني:

ويمثل مجموعة الوسائل والأدوات التي تخدم عملية التبليغ،  
والتي يمكن مخاطبة الناس من خلالها بشكل أفضل. ولا شك في  
أنّ العصر الحديث شهد تطوراً كبيراً في وسائل الإعلام، وتنوعاً في  
الأساليب والأدوات القادرة على التأثير وإيصال الفكرة، وهذا يعني  
أنّه لا يمكن للباحث إغفال هذا الجانب، ومهما بلغت أهميّة بعض  
الوسائل في حقبة زمنية، فإنّه لا يمكن الاكتفاء بها مع هذه القفزات  
النوعية السريعة في عالم وسائل الإعلام، ومع ظهور أدوات جديدة  
لم تكن معروفة، وقد تلغي تأثير الوسائل القديمة لشدة فعاليتها  
وتأثيرها، على الرغم من أهميّة الوسائل القديمة وفعاليتها في  
السابق.

ولا شك في أنّ الوسائل والأدوات الإعلامية الحديثة تلعب  
دوراً مهماً في توجيه المجتمع نحو السياسات المرسومة لها، وهذه  
الوسائل يمكن أن توضع في خدمة المخططات الهدامة والأفكار  
المسمومة، وتشكّل عائقاً كبيراً أمام المبلّغ، كما يمكن أن توضع  
في خدمة التبليغ ونشر الفكر الإسلامي الصحيح، وتربية الجيل  
الجديد على القيم والأخلاق الإسلامية، فهي سلاح ذو حدين.

ولا شك في أنّ مهمّة الفكر الملتمزم أعقد وأعسر من مهمّة

صاحب الفكر الهدّام، واستخدام تلك الوسائل والأدوات لنشر الفساد والتحلل أيسر بكثير من استخدامها للإصلاح وزرع القيم الأخلاقية، فذاك يخاطب الهوى، وهذا يخاطب الروح والعقل، وذلك متحرّر من القيود، فإمكانه أن يستفيد من الفرص والأدوات كلّها، وهذا مقيد بضوابط دينية وخُلُقِيّة تجعل دائرة اختياراته أضيق، وإمكاناته الفنيّة أضعف.

ومهما يكن، فلا بدّ من خوض غمار هذا البحر، والاستفادة من أقصى الطاقات في هذا المجال.

### 3 - عنصر اللغة وآدابها:

لا شكّ في أنّ لهذا العنصر أهميّة بالغة؛ لأنّه لغة الخطاب المباشر الذي تنتقل من خلاله الفكرة، وغالباً ما يعجز الإنسان عن نقل ما يدور في خلدّه دون أن يوسّط بينه وبين السامع المخاطب الألفاظ التي هي قوالب يصبّ فيها المعنى.

وعليه، فالأفضل أنّ تكون لغة المبلّغ والمخاطب مشتركة؛ لأنّه عندما يتكلّم يحكي أحاسيسه وأفكاره التي يحسّها بالوجدان وتنبع من داخله. واختلاف اللغة يخلق الكثير من المشكلات للمبلّغ؛ من قبيل عدم توقّر المترجم دائماً، وعدم قدرة المترجم على أن يعكس المراد بألفاظه بشكل دقيق؛ لأنّ الأوّل يصبّ المعاني التي تنبع من داخله في قوالبها المناسبة بنفسه، أمّا الآخر فهو يحاول أن يبدّل القوالب فقط، وقد يخطئ في اختيار القالب المناسب؛ لأنّه قد لا يمتلك المستوى الثقافي والعلمي للمبلّغ المتحدّث، وقد لا يعيش

الانفعالات التي تولدت عنها الفكرة؛ ممّا يؤدي إلى عدم قدرته على إدراك الفكرة بدقّة، فينعكس ذلك سلباً على النتيجة.

ولا شكّ في أنّ للدراسات الأدبيّة والبلاغيّة كبير الأثر في هذا المجال؛ لأنّها تضيف جمالاً على اللفظ سرعان ما ينتقل إلى المعنى، فيجد وقعاً في النفس، ومكاناً لائقاً به.

ولعلّ هذا يدخل في العنصر الفنيّ المتقدّم من هذه الجهة.

#### 4 - الالتزام الأخلاقيّ والعمليّ:

العنصر الرابع هو عنصر الالتزام الأخلاقيّ والعمليّ عند المبلّغ نفسه. ولا شكّ في ضرورة دراسة هذا العنصر لكونه شديد التأثير على إنجاح عمليّة التبليغ وتحقيق مستوى أفضل من قبول الفكرة.

ويحدّثنا التاريخ عن شخصيّة أنبياء الله ﷺ ودور تلك الشخصيّة في التأثير على أقوالهم وبعث حالة الاطمئنان عندهم، ولم يختر الله - سبحانه وتعالى - لتبليغ رسالاته أحداً إلّا وكان أفضل أهل زمانه خُلُقاً والتزاماً، وكانوا يمثلون القدوة العمليّة، فضلاً عن القدوة العلميّة.

فإذا رافق عرض الفكرة تقديم النموذج العمليّ والمجسّد لها، فسيكون ذلك أشدّ تأثيراً في النفوس، وأقرب إلى الإيمان والاطمئنان بالآثار الحقيقيّة للفكرة، بل هو دليل واضح على صدق الفكرة وحقانيّتها، ولعلّه لأجل ذلك حتّ أئمة أهل البيت ﷺ شيعتهم على الدعوة العمليّة إليهم: «كونوا دعاة الناس بأعمالكم»<sup>(1)</sup>.

(1) الحميريّ القميّ، قرب الإسناد، مصدر سابق، ص 77.

فالسيرة العملية السيئة البعيدة عن الالتزام الخلقي تشكّل مانعاً وعائقاً أمام التأثير وتحقيق الغرض المتوخى، فالكذب والخداع والمهاترات والردائل بأنواعها من الصفات التي تُفقد المبلّغ القدرة على التأثير، ولو كان ما ينطق به هو الحق.

النظام الإسلاميّ -نظريّاً- يملك أكبر المقومات التي تجعله صالحاً لإنقاذ البشرية ممّا تعانيه من مصائب وآلام، وصالحاً لتقديم السعادة التي يحلم بها كلّ إنسان منذ القديم، إلّا أنّ المنتسبين إلى الإسلام وحملة هذا الفكر والدعاة له إذا لم يجسّدوه عمليّاً، خاصّة على المستوى الأخلاقيّ والسلوكي، فسيكونون من أهمّ عوامل الابتعاد عنه وتنفير الناس منه.

فإنّ عوامّ الناس لا يفصلون غالباً بين الفكرة وبين حملتها والدعاة إليها، فيحملون الفكرة سيئات أهلها وحملتها.

فهذا العنصر جدير بالدراسة الجدّية، والمفترض أن يؤخذ بالاعتبار في الخطط العملية التي توضع للتبليغ.

هذه هي أهمّ العناصر، وكلّما كان مستوى الاستفادة منها أكبر كان العمل أنجح وأفضل.

## الموانع والعقبات

التخطيط الناجح لا بدّ من أن يأخذ بالاعتبار العقبات والموانع التي قد تعترض المسيرة، وأن يُعدّ العدة لتلافيها ومعالجتها، وبالتالي



أن يسعى للتخفيف من آثارها السلبية على نجاح العمل من جهة، وعلى استمراره من جهة أخرى.

وإلا فإن كثيراً من المشاريع الكبرى يفشل على الرغم من وجود المقومات اللازمة؛ نتيجة لاصطدامها ببعض العقبات التي لم يُخطَّط لكيفية اجتيازها منذ البدء.

ويمكن أن تُلخَّص الموانع التي تعرقل العمل التبليغي أو تُضعف من قدرته على التأثير والإثمار بنوعين:

### النوع الأول: الموانع الذاتية أو الداخلية:

1 - النقص في الجانب العلمي عند الجهاز العامل في الحقل التبليغي، والجهاز المخطَّط لذلك. ولا يشترط أن يكون ذلك النقص في المواد التبليغية دائماً، فقد يكون الجهاز مكوناً من أفراد أو جماعات كلهم من ذوي الفضل العلمي، بل ربّما يكون النقص في الدراسات التي فرضناها فيما تقدّم من الدراسات التمهيديّة التي لا بدّ منها لإنجاح العمل. فنقص المعلومات الميدانيّة عن الساحة، والإحصاءات اللازمة، وانعدام المعرفة بعليّ النفس والاجتماع وغير ذلك من الأمور التي تحدّثنا عنها فيما سبق، تُعدّ من الموانع الأساسيّة في إعطاء أفضل النتائج للعمل التبليغي والإعلامي.

2 - الانحراف في الجانب السلوكي. وهذا ينعكس سلباً على الفكرة التي يريد المبلِّغ إيصالها؛ لأنّ الناس يتأثرون بالأفراد الذين يجسّدون أفكارهم ونصائحهم عملياً أكثر ممّا يتأثرون بغيرهم.

وفي كثير من الأحيان يسيء المبلّغ للقيم والمبادئ التي يقوم بتبليغها، وينقّر الناس عنها وهو لا يدري. ولعلّه إلى هذا الأمر يشير الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس، ولم يبغضنا إليهم»<sup>(1)</sup>.

فمن كان ينتسب إلى الإسلام ولا يجسّد القيم الإسلاميّة ويسيء التصرف مع الناس، هذا بالحقيقة لا يُنقّر الناس منه شخصياً فحسب، وإنّما يُنقّره من الإسلام، ومن القيم التي يحملها الإسلام؛ لأنّها أشبه بمن يقول: إنّ هذا الدين الذي أدعوكم إليه ليس له واقع؛ لأنّه لو كان له واقع لعملت به أنا، فهذا سيكون لسان حاله. 3 - ضعف الأسلوب الفنّي. وهذا يرجع عادة إلى نقص الخبرة في هذا الجانب، فلا يتمكّن المبلّغ من صبّ الفكرة في قالبها المناسب، فيقدّمها إلى المستمع بطريقة تؤدّي إلى النفور، أو يعجز عن إظهار الجوانب الإيجابيّة والمحبة للأنفس في المبادئ المطروحة.

وقد ينشأ ضعف الأسلوب من الاضطراب في الترتيب الطبيعيّ للمعارف والأفكار التي يريد إيصالها، فيطرح النتائج دون مقدّمات ودون دليل، أو يصدّم السامع بالحقائق المرّة قبل أن يمهد لها السبيل.

ولعلّه لأجل هذا ورد الأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، والمنع من إلقاء الحقائق الصعبة على العوامّ وأمثال ذلك.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 8، ص 229.

روي عن رسول الله ﷺ قال: «إنّا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»<sup>(1)</sup>.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «رحم الله عبداً استجّر مودة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يُظهِر لهم ما يعرفون، ويكفّ عنهم ما يُنكرون»<sup>(2)</sup>.

ولا شكّ في أنّ كثيراً من الحقائق يصعب على الإنسان قبولها، وقد تصدّمه ابتداءً، لكن إذا قُدّمت إليه من الطريق الصحيح، ومُهد لها بالأمور التي يتوقّف قبولها عليها، سهّل قبولها، ووقعت موقعها.

وأثر الأسلوب الأدبيّ والفنيّ كبير ممّا لا ينكر في شتّى مجالات التبليغ والإعلام.

## النوع الثاني: الموانع الخارجيّة:

1- قلة الإمكانيات: لأنّ إيجاد الأجهزة اللازمة للتخطيط والعمل يحتاج إلى إمكانيات واسعة، والكثير من الوسائل التبليغيّة الحديثة مكلفة جدّاً؛ فقد يكون الضعف ناشئاً من قلة الإمكانيات اللازمة لتوفير الوسائل المطلوبة أحياناً، خاصّة الأجهزة المتطوّرة منها.

وتبرز مشكلة قلة الإمكانيات بشكل أكبر إذا ما لاحظنا الإمكانيات الهائلة للإعلام للطاغوتي.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 1، ص 23.

(2) ابن أبي زئبب النعماني، محمّد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق: فارس حسّون كريم، أنوار الهدى، إيران - قم، 1422 هـ، ط 1، ص 42.



2- الإعلام المضادّ: فقد يقوم الإعلام المضادّ بخلق حالة من التشكيك وعدم الثقة، ممّا يُربك عمليّة إيصال الحقيقة إلى المخاطبين. وكلّما كان الإعلام المضادّ مدروساً بشكل أدقّ، وكانت إمكانيّاته الفنيّة وخبراته أكثر، شكّل مشكلة أكبر أمام تحقيق عمليّة التبليغ الإسلاميّ.

3- الشبهات المثارة: والتي تشكّل تحدّياً خطيراً؛ لأنّها تشوّش الأذهان وتشوّه الصورة المراد عرضها، وتخلق جوّاً من الإحباط أحياناً. وكلّما كانت الشبهات المطروحة مصاغة بطريقة فنيّة، أدّى ذلك إلى تشويه الحقيقة، وأوجد عقبة كؤود أمام العمل التبليغيّ، خاصّة في أوساط عامّة الناس الذين يقعون فريسة هذه الشبهات.

4- السياسات الظالمة: لعلّ من أهمّ العقبات التي تعرقل العمل التبليغيّ هو وجود الحكومات الظالمة وأجهزتها، التي تقف سدّاً منيعاً أمام الثقافات التي لا تخدم أهدافها، ولا تحقّق مآربها، وبإمكانها أن تلعب دوراً حسّاساً في تشجيع حركة ثقافيّة معيّنة، وتوجيه الناس باتّجاه خاصّ؛ فالسلطة تسيطر على وسائل التبليغ والإعلام المضادّ، وعلى المدارس والمؤسّسات الثقافيّة، وتفرض عليها خطأً ثقافياً وإعلامياً موجّهاً بحسب السياسات المتبنّاة من قبل الأجهزة الحاكمة، وبإمكان السلطة أن تخنق الحرّيّات نهائيّاً، وأن تعرقل التبليغ الإسلاميّ إلى حدّ كبير.

5- المشكلات الاقتصاديّة والمعيشيّة العامّة: هذه المشاكل تجعل عامّة الناس ينصرفون إلى الاهتمام بحلّ هذه المشكلات لشدّة



مساسها بحياتهم اليومية؛ ممّا يجعل اهتماماتهم الثقافية والفكرية تنحسر إلى الحد الأدنى، إلّا تلك المبادئ التي ترتبط بشكل مباشر بمعالجة هذه المشكلة، وهذا يختص بالأديان والثقافات التي تمتلك طرْحاً اقتصادياً كاملاً من شأنه أن يضع حداً للمعاناة الاقتصادية، فيكون الجوّ مؤاتياً للطرح، وإلّا فإنّ المشكلات المعيشية تشغل الناس بهومهم، وتصرفهم عن الاهتمام بالجوانب الأخرى.

ولأجل معالجة هذه المشكلة ورفع هذا المانع يُفترض أن يُخطّط لحلّ الأزمات الاقتصادية للناس بشكل سريع وفعال؛ لتهيّأ الجوّ لتبليغ الفكرة المراد إيصالها؛ ومن هنا، نرى أنّ الحركات والدعوات الضالّة تجد طريقها من خلال بعض المساعدات الماديّة والصحيّة للمجتمعات الفقيرة، هذه المساعدات قد لا تكون في واقعها ذات حجم كبير إلّا أنّها تقع في محلّها عندما يكون الإنسان مشرفاً على الهلاك، فإنّ اللقمة وقطرة الماء أعزّ ما يكون عنده وأعلى ما يراه، وإذا استفيد من هذه الفرصة، فإنّه يمكن أن يفتح الطريق واسعاً أمام العمل التبليغيّ من خلال المساعدات الاقتصادية.

وقد أدرك أعداؤنا ذلك، وعملوا على استغلال هذا الأمر، في حين أنّنا أجدر بذلك منهم، وبإمكاننا أن ننطلق في سدّ حاجاتهم تلك، انطلاقاً من مبادئ إسلامنا الذي يحثّ على مساعدة المحتاج، وسدّ رمقه، والصدقة، والعطاء بقطع النظر عن واقع التبليغ.

6- ثمة موانع أخرى كثيرة يمكن أن تعزّزها الدراسة الميدانية،

وهي تحتاج إلى علاج وتخطيط، ولا يمكن إغفال شيء منها على الإطلاق.

## مقترحات للعلاج

بعد ملاحظة الأهمية الكبرى للتبليغ ونشر المعارف الإسلامية، والحساسية الكبرى للطرف السياسي والدولي الذي يمرّ بنا، وتصادم حملات التحدي، وارتفاع شدة الموانع والعراقيل الموضوعة في طريق إيصال نداء الإسلام الصحيح، كان من الضروريّ جداً الارتقاء في أسلوب التبليغ إلى المستوى المناسب لحاجات العصر، والتخطيط الدقيق القائم على الدراسات العلمية والتجارب العملية، للاستفادة من الفرص والإمكانات كلّها، وتوظيف جميع الوسائل المتاحة بطاقتها القصوى؛ ومن هنا كان لا بدّ من سلوك الخطوات الآتية:

- 1- عدم الاكتفاء بأسلوب المبادرات الفردية الذي كان يحكم مسيرة التبليغ سابقاً، وإنشاء مجمع علميّ لوضع الدراسات اللازمة والمناهج العلمية التي يجب اعتمادها في حركة التبليغ ونشر الفكر الإسلامي.
- 2- إدخال تلك الدراسات كمناهج دراسية في الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية؛ ليتأهّل الطالب لممارسة عمله ووظيفته بنجاح، فليست الغاية هي التعلّم والبحث فحسب، وإنّما المطلوب إلى جانب ذلك تحصيل قدرة مناسبة على التعليم والتربية ونشر الثقافة الإسلامية.

3 - إدخال الأدوات والوسائل الحديثة في التبليغ والإعلام، وتوظيفها في خدمة الهدف السامي، مع الاستفادة من أعلى المستويات الفنيّة، ومن تلك الوسائل والأدوات:

- أ. الصحافة والمطبوعات.
- ب. الإذاعة والتلفزيون.
- ج. الفيديو والكاسيت.
- د. المعاهد والدورات الثقافيّة والعلميّة.
- هـ. المنابر والندوات الثقافيّة.
- و. الكمبيوتر والوسائل الإلكترونيّة.
- ز. وغير ذلك من الوسائل والأدوات التي يمكن توفيرها أو ابتكارها.

وهذه الوسائل وإن كانت معتمدة سابقاً، إلّا أنّه لم يُحسّن الاستفادة منها بشكل جيّد؛ لضعف الخبرات الفنيّة والإمكانات، فاللزام رفع المستوى الفنيّ لتحقيق الجاذبيّة المطلوبة.

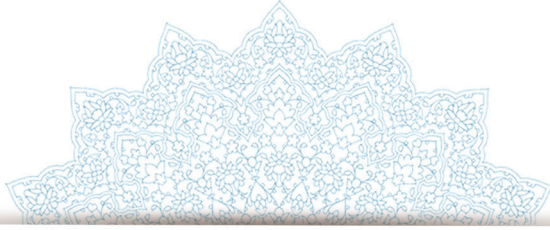
4 - اعتماد المؤسسات الإجرائيّة التي يُشرف عليها خبراء ذوو تجربة وباع طويل في العمل التبليغيّ؛ وذلك لإدارة العمل التبليغيّ، والارتقاء بمستوى العمل إلى البُعد العالميّ، وهذا يعني أنّه لا بدّ من التوقّف عن توظيف الأفراد الذين لا يمتلكون مؤهلات كافية؛ إذ إنّ التجربة أثبتت أنّ الأخطاء العمليّة تترك أثراً سلبياً كبيراً على تقدّم العمل في الاتجاه المطلوب، وقد تخلق ظروفًا تمنع من إعادة التجربة، وتغلق الباب نهائياً أمام المخلصين والخبراء.

5 - التنوّع في المناهج والبرامج التبليغيّة، ورعاية حالة التناسب بين الحكم والموضوع، بأن يتمّ اختيار المنهج المناسب لكلّ زمان ومكان، فإنّ نجاح تجربة معيّنة في مكانٍ ما لا يعني أبداً تعديّة تلك التجربة بكلّ ما لها من خصائص ومميّزات إلى الأماكن الأخرى، فإنّ الظروف تتغيّر من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، فاللزام هو دراسة جميع الخصوصيّات ميدانيّاً، واختيار المنهج والأسلوب المناسبين.

هذا غيض من فيض، نضعه بين أيدي المخلصين والحريصين على رفع مستوى التبليغ والإعلام الإسلاميّ نحو الأفضل، وبالتالي متابعة مسيرة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.







## قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. المجلسي (الأول)، المولى محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، نَمَقَه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: السيّد حسين الموسويّ الكرمانيّ؛ الشيخ عليّ پناه الإشتهارديّ، بنياد فرهنگ اسلاميّ حاج محمد حسين كوشانپور، لا. ت، لا. ط.
3. الشريف الرضيّ، السيّد محمد الرضيّ بن الحسن، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، تحقيق وتصحيح: صبيح الصالح، لا. ن، لبنان - بيروت، 1387 هـ/ق/1967 م، ط1.
4. الزمخشريّ، محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شركة مكتبة ومطبعة الحلبيّ، مصر، 1385 هـ/ق/1966 م، لا. ط.
5. الكلينيّ، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق وتصحيح: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1363 هـ. ش، ط5.
6. ابن شعبة الحرّانيّ، الحسن بن عليّ، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة

- النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1404 هـ/ق/1363 هـ.ش، ط2.
7. الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی، ایران - قم، 1366 هـ.ش، لا.ط.
8. «مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة» المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام، مؤسسة الأعلي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1400 هـ - 1980 م، ط1.
9. المغربي، القاضي النعمان بن محمد، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، مصر - القاهرة، 1383 هـ/ق/1963 م، لا. ط.
10. الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، إيران - قم، 1418 هـ/ق، ط1.
11. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414 هـ/ق/1993 م، ط2.
12. الطبرسي، علي بن الحسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، 1418 هـ/ق، ط1.
13. ابن طاووس، السيد علي بن موسى، إقبال الأعمال، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1367 هـ.ش، طبعة قديمة.
14. علي بن الإمام جعفر الصادق، مسائل علي بن جعفر، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المشرفة، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، إيران - مشهد المقدسة، ذي

القعدة 1409 هـ، ط 1.

15. ابن فهد الحلبي، أحمد بن محمد، عدة الداعي ونجاح الساعي،  
تصحيح: أحمد الموحدي القمي، مكتبة وجداني، إيران - قم،  
لا. ت، لا. ط.

16. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، لبنان - بيروت، لا.  
ت، لا. ط.

17. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح  
المقنعة، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان،  
دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1364 هـ، ش، ط 3.

18. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، الخصال، تصحيح وتعليق:  
علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة  
المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1403 هـ/ق، 1362 هـ، ش،  
لا. ط.

19. البيهقي، علي بن زيد البيهقي، معارج نهج البلاغة، تحقيق:  
محمد تقي دانش پزوه، قم المقدسة، مكتبة آية الله العظمى  
المرعشي النجفي، 1409 هـ، ط 1.

20. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، فضائل الأشهر الثلاثة،  
تحقيق وإخراج: ميرزا غلام رضا عرفانيان، دار المحجة البيضاء  
للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1412 هـ/ق، 1992 م،  
ط 2.

21. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: الحاج  
السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية،  
إيران - طهران، 1422 هـ، ط 1.

22. ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد، المصنّف، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، جمادى الآخرة 1409 هـ/ق 1989 م، ط 1.
23. ابن قولويه القميّ، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق: الشيخ جواد القيوميّ، مؤسسة نشر الفقاهة، إيران - قم، 1417 هـ/ق، ط 1.
24. الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1414 هـ/ق، ط 2.
25. الطبريّ، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1415 هـ/ق 1995 م، لا. ط.
26. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، إيران - قم المقدّسة، 1405 هـ/ق 1363 هـ/ش، لا. ط.
27. الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ/ق 1987 م، ط 4.
28. الطبرسيّ، الشيخ أحمد بن عليّ، الاحتجاج، تعليق: السيّد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، العراق - النجف الأشرف، 1386 هـ/ق 1966 م، لا. ط.
29. الديليّ، الحسن بن محمد، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، إيران - قم المقدّسة، لا. ت، لا. ط.

30. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي (عج)، إيران - قم المقدسة، ربيع الأول 1409 هـ، ط 1.
31. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم المقدسة، 1414 هـ، ط 1.
32. المجلسي، العلامة محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي؛ محمد الباقر البهودي، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403 هـ/ق 1983 م، ط 2.
33. المفيد، الشيخ محمد بن محمد، المقنعة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1410 هـ، ط 2.
34. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، انتشارات قدس محمدي، إيران - قم، لا. ت، لا. ط.
35. الديلمي، الشيخ حمزة بن عبد العزيز، المراسم العلوية في الأحكام النبوية، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، 1414 هـ، لا. ط.
36. الخميني، الإمام السيد روح الله الموسوي، تحرير الوسيلة، دار الكتب العلمية، العراق - النجف، 1390 هـ، ط 2.
37. الحميري القي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1413 هـ، ط 1.

38. الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ، ثواب الأعمال، تقديم: السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخراسان، منشورات الشريف الرضيّ، إيران - قم، 1368 هـ.ش، ط2.

39. الطباطبائيّ، العلامة السيّد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة، إيران - قم، 1417 هـ.ق، ط5.

40. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، لا. م، 1378 هـ.ق/1959 م، ط1.

41. الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة، إيران - قم، 1379 هـ.ق/1338 هـ.ش، لا. ط.

42. ابن أبي جمهور الأحسائيّ، محمد بن عليّ، عوالي اللئالي، تقديم: السيّد شهاب الدين النجفيّ المرعشيّ، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقيّ، لا. ن، لا. م، 1403 هـ.ق/1983 م، ط1.

43. الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، تصحيح: الحاج ميرزا حسن كوچه باغيّ، منشورات الأعلميّ، إيران - طهران، 1404 هـ.ق/1362 هـ.ش، لا. ط.

44. ابن طاووس، السيّد عليّ بن موسى، كشف المحجّة لثمره المهجة، المطبعة الحيدريّة، العراق - النجف الأشرف، 1370 هـ.ق/1950 م، لا. ط.





45. البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاريّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا. م، 1401هـ/ق/1981م، لا. ط.
46. ابن أبي زينب النعمانيّ، محمّد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق: فارس حسّون كريم، أنوار الهدى، إيران - قم، 1422هـ/ق، ط1.

